أثر السوفسطائية في الفكر الفلسفي المعاصر
(نماذج ممثلة)

د. ناهد إبراهيم محمد محمد *

المستخلص

لقد كان للنزعة السوفسطائية في القرن الخامس ق.م أثر بالغ الخطورة علي الفكر اليوناني؛ فلقد تغير البحث الفكري من البحث الموضوعي في الوجود الطبيعي إلي البحث النسبي في الوجود الإنساني، وخاصة فيما يتعلق بالمعرفة والأخلاق؛ فانتهي السوفسطائيون إلي نسبية العادات والتقاليد والقوانين.

ولقد أثرت السوفسطائية تأثيراً بالغاً علي منهجية الفكر الفلسفي، وتركت أثراً واضحاً في الفكر الفلسفي المعاصر؛ فتصورهم النسبي للمعرفة والأخلاق قد إمتد أثره إلي الفكر الفلسفي المعاصر، وخاصة عند الفيلسوف الألماني نيتشه (ت/١٩٠٠م) خاصة في قوله بنسبية القيم وتغيرها. ولقد ذهب بعض الباحثين إلي أن فلسفة نيتشه استباقاً للبراجماتية؛ وذلك لقولها بإن الحقائق من خلق الإنسان، ومقياس صحة الأفكار يتوقف علي مدي نفعها وصلاحيتها للعمل، وهي الفكرة الفلسفية ذاتها التي قال بها (السوفسطائيون الجدد) في الفكر الصيني المعاصر في القرن العشرين.

إشكالية الدراسة : تكمن في محاولة التعرف علي أثر السوفسطائية في الفكر الفلسفي المعاصر، وذلك من خلال نماذج ممثلة، مثل: نيتشه، والبرجماتية، والسوفسطائية المعاصرة في الصين.

أما عن تساؤلات الدراسة، فيمكن إجمالها كالآتي :

١- ما ملامح النسبية السوفسطائية عند كل من: بروتاغوراس، وجورجياس ؟

٢- ما الأثر السوفسطائي النسبي في فكر (نيتشه) ؟

٣- لماذا تعد البرجماتية (سوفسطائية تجريبية) معاصرة ؟

٤- ما ملامح (السوفسطائية المعاصرة) في الصين ؟ وما وجه الإتفاق بين كل من: (السوفسطائي الإغريقي القديم)، و(المثقف السوفسطائي الجديد) في الفكر الصيني المعاصر؟

المنهج المستخدم : استخدمت في إعداد هذه الدراسة بعض مناهج البحث المناسبة، أهمها: المنهج التاريخي؛ والمنهج التحليلي، والمنهجين النقدي والمقارن.

الكلمات المفتاحية : السوفسطائية، الفكر، الفلسفي، المعاصر.

The Impact of Sophism on Contemporary Philosophical Thought
Representative Models

Dr.Nahed Ebrahim Mohamed Mohamed

Abstract

The Sophist tendency in the fifth century BC had a very serious impact on Greek thought; intellectual research changed from objective research on natural existence to relative research on human existence, especially with regard to knowledge and ethics; the Sophists ended up with the relativity of customs, traditions and laws.

Sophism has greatly influenced the methodology of philosophical thought, and left a clear impact on contemporary philosophical thought, as their relative perception of knowledge and ethics has extended its impact to contemporary philosophical thought, especially when the German philosopher Nietzsche (d. /1900 AD), especially in his statement of the relativity of values and their change.

Some researchers have argued that Nietzsche's philosophy is in anticipation of pragmatism, because it says that facts are created by man, and the measure of the validity of ideas depends on their usefulness and suitability for action, which is the same philosophical idea that the (neo-sophists) said in contemporary Chinese thought in the twentieth century.

◆ مدرس الفلسفة اليونانية – كلية التربية – جامعة الإسكندرية.

-The Problem of The Study: It lies in trying to identify the impact of Sophism on contemporary philosophical thought, through representative models, such as Nietzsche, pragmatism, and contemporary Sophism in China.

- Approach used:

Some different research approaches was used in this research: the **Historical, Analytical,** and **and Critical and Comparative Approach.**

Keywords: Impact, Sophism, Contemporary, Philosophical.

- **تمهيد :**

إن الفلسفة تتطور مع الزمن، ولكنها لا تقطع كل صلة لها بالماضي؛ فالفلسفة في استنباطاتها تظل دائما برهانا علي القيمة الدائمة للفكر، فالإنسان دائما ما يفكر في تطوير نفسه، وإصلاح حاله؛ فالفلسفة تتخذ طريق التأمل وتعمل علي دراسة الأشياء، وتترك في أعقابها كثيرا من الاضطرابات والحيرة، إلا أن الإنسان لابد له من جهد شاق متصل؛ لكي يعرف نفسه، وينظم اعتقاداته علي نحو متسق متكامل؛ وذلك ليكون قادرا علي فهم الواقع[1].

وإذا كانت الفلسفة من البداية تحاول جاهدة أن تبحث عن الحقيقة، فإن الفلاسفة علي مر العصور كانوا يعمدون إلي التفكير، وتقدير قيمة المعرفة، إلا أن عملية التفكير كانت تجري داخل العقول، وبالتالي كانت تبدأ هذه العملية، عادة، بتخمينات وفروض ومصادرات لا يقوم عليها أي دليل كاف، بل كانت عملية التفكير في أفضل صورها تصل إلي مجموعة من الأفكار قد تطابق الواقع وقد لا تطابقه، فلقد كانت هذه المدركات العقلية من صنع اللغة[2]، وبالتالي فقد أكتنفها الشك[3] في كثير من الحالات.

---

[1] رالف. ب.وين: المذهب الطبيعي في الفلسفة، نشر في: فلسفة القرن العشرين (مجموعة مقالات في المذاهب الفلسفية المعاصرة)، نشرها: داجوبرت. د. رونر، ترجمة/ عثمان نوية، راجعه/ زكي نجيب محمود، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٣، ص ص ٢٩٥-٢٩٩.

[2] رالف. ب.وين، مرجع سابق، ص ص٢٩٥/٢٩٦.

[3] التردد بين نقيضين دون ترجيح لأحدهما علي الآخر، وقيل الشك ما أستوي طرفاه، وهو الوقوف بين شيئين لايميل القلب إلي أحدهما. والشك حالة مرضية يتردد فيها الإنسان بين الإثبات والنفي ، فيصبح عاجزا عن الحكم ، والشكاكون جماعة من الفلاسفة يترددون بين إثبات حقائق الأشياء وإنكارها. والشك نوعان: شك كلي (هدام): وهو شك يؤدي إلي الشك ، ولا يفضي إلي اليقين أو إلي المعرفة ، يشك فيه الإنسان في جميع موضوعات النظر الإنساني والمعرفة الإنسانية (كالشك السوفسطائي في القرن الخامس ق.م ، ومدارس الشكاك في العصر الهللينستي). النوع الثاني هو الشك المنهجي: وهو سابق علي كل بحث وكل فلسفة فهو شك محمود يحمينا من الوقوع في الزلل ، ويصون أحكامنا من التعجل والتهور، بمعني أن نشك في حواسنا وعقولنا حتي نثق فيها ، ونصل عن طريقها إلي اليقين . ويمثل الشك المنهجي في الفكر الفلسفي الإسلامي الإمام أبو حامد الغزالي (ت / ٥٠٥ هـ) ، وفي الفلسفة الحديثة الفيلسوف الفرنسي ديكارت (ت / ١٦٥٠م) .

- انظر: مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة ، ٢٠٠٧،(مادة / شك) ،ص ص/ ٣٦٦،٣٦٧.
- أيضا: المعجم الوجيز: تصدير: إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٢١ هـ (مادة/شك)، ص٣٤٨.
- عثمان أمين: محاولات فلسفية، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٧، ص،ص/١٠٥،١٠٠.
- راجع: عبد الفتاح أحمد فؤاد: فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ص٢٢٣- ٢٢٨.
- أيضا: محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي، ج٢ (أرسطو والمدارس المتأخرة)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ٣ ، ١٩٧٢، ص ص٢٩٣-٣١٣.

فلقد ظهر في المرحلة الأولي من مراحل تطور الفلسفة اليونانية إتجاهان: إتجاه طبيعي، وهو الذي وضعت فيه أسس الفلسفة النظرية (كالفلسفات السابقة علي سقراط) وهذه الأسس النظرية قد إتجهت لدراسة العالم الخارجي، أي البحث في عالم الطبيعة[٤].

أما الإتجاه الثاني: فهو الإتجاه الإنساني، الذي استهدف البحث في تفسير الوجود الإنساني بدلاً من الوجود الطبيعي وعالم الكونيات، ويمثله **الإتجاه السوفسطائي**[٥] الذي ظهر في القرن الخامس ق.م[٦]. غير أن هذا الإتجاه لا يرجع إلي عوامل فكرية فحسب؛ بل إلي عوامل سياسية

- ديكارت: التأملات في الفلسفة الأولي، ترجمة/ عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩، (التأمل الأول: في الأشياء التي يمكن أن توضع موضع شك)، ص ص٧١-٨١.

[٤] حربي عباس عطيتو: ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٧، ص٢١٩ .

[٥] السوفسطائي بالمعني اليوناني هو الذي يحترف العلم ، فهو القادر علي تقديم درس أو محاضرة حول أي شئ، فالسوفسطائي هو (المعلم) الحاذق أو العالم في شئ ما ، وهي في نظر محترفيها فن يجعل الناس أكثر رقيا مما كانوا عليه، إلا أن هذا اللفظ أصبح موضع تحقير للمثقفين والفلاسفة منذ عهد سقراط (ت/ ٣٢٢ ق.م)، فالسوفسطائي هو الذي يستعمل المغالطات علي نحو عادي ، وهو من يستخدم الجدل للتغلب علي الخصوم عن طريق تزييف الحقائق إيثارا منهم لمصالحهم الشخصية . والسوفسطائية هي موقف عقلي مشترك بين السوفسطائيين الإغريق كافة، أشهرهم: (بروتاغوراس ت/٤٢٠ ق.م)، (جورجياس ت/٣٧٥ ق.م). وقد تركزت مهمة السوفسطائيين في تقديم تعليم منظم، يتقاضون عليه أجرا ، وكان ذلك من أسباب كره المجتمع اليوناني لهم؛ فالسوفسطائي شخص ارتبط اسمه بربط العلم بالرزق؛ لأن ذلك لم يكن من عادة الشعب اليوناني آنذاك، إلا أن السوفسطائية لم تكن مدرسة فلسفية واحدة لها أعضاء يأتي إليها التلاميذ؛ بل كانوا يتجولون من مكان إلي آخر، وينزلون في بيوت الأثرياء، وفي بعض الأحيان كانوا يلقون محاضرات في أماكن عامة، يحاولون من خلالها تعليم الشباب الأثيني الجدل الفلسفي، والتلاعب بالألفاظ؛ فقدراتهم كانت في التدريس، وليست في الحكمة.

- Preus.Anthony(ed): Historical Dictionary of Ancient Greek Philosophy, The Scarecrow Press. Inc, U.S.A, 2007, (Art / Sophistes), P.242 .

- Erdmann.(J.E): History Of Philosophy, Swan Sonnenschein.com., NewYork, 1890, P.70 .

- Sachs.Joe: Socrates And Sophists, R.Pullins Company, U.S.A, 2011, P.1.

- أيضا: لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ٢٠٠١، (مادة Sophiste / Sophistique)، ص ص ١٣١٥/١٣١٦.

- محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي، ج١(الفلسفة اليونانية من طاليس إلي أفلاطون)، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ط٥، ١٩٧٣، (حاشية) ص٩٧.

- حربي عباس عطيتو ، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان ، ص ص / ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

- راجع أيضا:

- Sedgwick.Henry: Lectures On The Philosophy Of Kant And Other Philosophical Lectures And Essays, Kraus Reprinted Co., NewYork, 1968, P.323–329.

[6] Blackie.(J.S): Reek Philosophy And Ant equity, Macmillan Co., London, 1874, P.203 .

- Sachs . Joe , Op.Cit , P. 1 .

- Erdmann . (J . E) , Op.Cit , P. 70 .

واجتماعية نشأت في المجتمع اليوناني في ذلك الوقت، وهذه العوامل ممثلة في النظام الديموقراطي، الذي أعطي الفرصة لكل من يمتلك موهبة خطابية قادرة علي الإقناع أن يصبح حاكما، خاصة في ظل امتلاك السوفسطائيين لسمتين هامتين ساعدتهم علي الانتشار والازدهار، وهما: التبحر الماهر في كل الفنون والصنائع، والعلم الواسع بأسرار اللغة والبلاغة، وفنون الجدل والخطابة(٧).

ولقد كان للنزعة السوفسطائية أثر بالغ الخطورة علي الفكر اليوناني أيضاً؛ فلقد تغير البحث الفكري من البحث الموضوعي(٨) في الوجود الطبيعي إلي البحث النسبي في الوجود الإنساني، وخاصة فيما يتعلق بالمعرفة والأخلاق؛ فانتهي السوفسطائيون إلي نسبية العادات والتقاليد والقوانين والعرف؛ فما ينطبق في مجتمع ما قد لا يكون كذلك في مجتمع آخر(٩)، وبالتالي فإن اللغة والدولة والقوانين نسبية وضعية.

ولقد أثرت السوفسطائية تأثيراً بالغاً علي منهجية الفكر الفلسفي، وتركت أثراً واضحاً في الفكر الفلسفي المعاصر؛ فتصورهم النسبي للمعرفة والأخلاق قد إمتد أثره إلي الفكر الفلسفي

- أيضاً: عزت قرني: الفلسفة اليونانية حتي أفلاطون، مجلس النشر العلمي، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، ٢٠٠٣، ص ص/ ٨٦،٨٧.
- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٥، ١٩٦٦، ص٥٨ .
- حربي عباس عطيتو، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، ص ص / ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي ،ج١، ص ١٠٠ .
- جعفر آل يس: فلاسفة يونانيون (العصر الأول)، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧١، ص١٢٥ .
- ستيس.وولتر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة/ مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤، ص٩٩.

[7] Ueberweg.(F): History of Philosophy From Thales To The Present Time, V.1, Translated by: Morris .(S.A.M), Charles Scrirner's Sons, NewYork, 1909, P.72.

- مصطفي النشار: مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨، ص ص٦٩/٧٠.
- أيضا : حربي عباس عطيتو، مرجع سابق، ص ٢١٩ .
- راجع : محمد علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي، ص ٩٧ .

[٨] نسبة إلي الموضوع Object وهو المادة التي يبني عليها المتكلم كلامه، فنقول موضوع البحث أي مادته، والموضوع هو أيضا الموجود في العالم الخارجي، وهو ما ندركه بالحواس، ونتصوره ثابتا ومستقراً عن رغباتنا وأرائنا، ويقابله الذات. والموضوعي Objective هو المنسوب إلي الموضوع بكافة معانيه.

والموضوعي كمذهب فلسفي Objectivism هو كل مذهب يقرر أن الذهن يستطيع أن يصل إلي إدراك حقيقة واقعية قائمة بذاتها، مستقلة عن النفس المدركة، والمذهب الموضوعي في الأخلاق هو الذي يقرر أن القيم الأخلاقية مستقلة عن أراء الأفراد وسلوكهم، ويقابله (النسبي).

- انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، (مادة/موضوع Object/ موضوعي Objective / الموضوعي مذهب Objectivism)، ص٤٤٦ – ٤٤٩.

- أيضاً: مراد وهبة، المعجم الفلسفي، (مادة/ موضوعي "مذهب" Objectivism)، ص٦٣٤ .

[9] Ueberweg .(F) , Op.Cit , P 72 .

- أيضاً: محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، ص ١٠١ .
- أيضا : حربي عباس عطيتو، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، ص ٢٢٨ .

المعاصر، وخاصة عند الفيلسوف الألماني **نيتشه**[١٠](ت/١٩٠٠م) خاصة في قوله بنسبية القيم وتغيرها؛ فالإنسان في العصر الحديث ذو أخلاقيات متباينة تبعا لما يمر به من حالات، وتبعاً لظروف العصر المضطربة[١١]. ولقد ذهب بعض الباحثين إلي أن فلسفة نيتشه استباقا **للبراجماتية**[١٢]؛ وذلك لقولها بإن الحقائق من خلق الإنسان، ومقياس صحة الأفكار يتوقف علي مدي نفعها وصلاحيتها للعمل، وبالتالي فان الأخلاقيات تتغير بتغير المواقف، وتصبح كالسلع التي يتغير ثمنها علي حسب مدي نفعها للحياة. ومن ثم، فإن الحقيقة الثابتة تختفي وتحل محلها النسبية؛ فالقيم خاضعة لحاجتنا النفعية، والحقيقة هي ما ينفع للحياة[١٣]، وهي الفكرة الفلسفية ذاتها التي قال بها (**السوفسطائيون الجدد**) في الفكر الصيني المعاصر في القرن العشرين.

- **إشكالية الدراسة :**

تكمن في محاولة التعرف علي أثر السوفسطائية في الفكر الفلسفي المعاصر، وذلك من خلال نماذج ممثلة، مثل: نيتشه، والبرجماتية، والسوفسطائية المعاصرة في الصين.

- **أما عن تساؤلات الدراسة، فيمكن إجمالها كالآتي :**

١- ما ملامح النسبية السوفسطائية عند كل من: بروتاغوراس، وجورجياس ؟
٢- ما الأثر السوفسطائي النسبي في فكر (نيتشه) ؟
٣- لماذا تعد البرجماتية (سوفسطائية تجريبية) معاصرة ؟

---

[١٠] فيلسوف ألماني مؤسس فلسفة القوة ، ومن أعظم الفلاسفة تأثيراً في القرن العشرين ، ولد ١٨٤٤ ، عين أستاذاً في جامعة بازل عام ١٨٦٩ قبل حصوله علي الدكتوره ، وقد استقال من عمله بسبب المرض عام ١٨٧٩، ولقد أصيب بالجنون في يناير ١٨٨٩، وتوفي عام ١٩٠٠ . ويعد من أعظم الشخصيات المصيرية في الفلسفة الغربية ، وعلامة استفهام رهيبة علي الطريق الفلسفي ، نظرا لرفضه كل ما كان يعد حقا ومقدسا وخيرا ، فلقد رأي أن الإنسانية قد عاشت علي عبادة الأصنام : أصنام في الأخلاق وأصنام في السياسة وأصنام في الفلسفة ، وكانت مهمته تحطيم هذه الأصنام . من مؤلفاته : أفول الأصنام ، هكذا تكلم زرادشت.

- انظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٨٤، (مادة / نيتشه)، ص،ص/٥١٦،٥٠٩،٥٠٨.

[11] Erdmann . (J . E) , Op.Cit , P. 71.

- أيضاً: نيتشه: ما وراء الخير والشر، ترجمة/ موسي وهبة، مكتبة الفارابي، (د. م)، (د.ت)، ص،ص/١٨٠،١٢٨.

[١٢] مذهب فلسفي معاصر يري أن الحقيقة علاقة ملازمة للاختبار البشري ، وأن المعرفة أداة في خدمة الفاعلية، وأن للفكر طابعا غائياً في الأساس ، فحقيقة قضية تكمن في كونها مفيدة أو ناجحة ومُرضية وذلك في سبيل إرضاء المصلحة الشخصية، فالكذبة النافعة هي حقيقة، ولقد ظهرت الفلسفة البراجماتية علي يد الفيلسوف الأمريكي تشارلز بيرس (ت / ١٩١٤م) ثم جاء بعده التابعان: وليم جيمس (ت / ١٩١٠ م) ، وجون ديوي (ت / ١٩٥١ م) . وتمثل البراجماتية نقطة الانتقال من الفلسفة التقليدية إلي الفلسفة الوسيلية أو الذرائعية؛ فبعدما كان أساس الحكم علي قول ما بالصدق أو بالبطلان يتم بالرجوع إلي الأصل الذي بعث علي تقرير ما يقرره القول ، أصبح الأساس هو النتائج التي تترتب عليه .

- انظر : لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية ، (مادة / Pragmatisme) ، ص ١٠١٦ .
- أيضا: زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، القاهرة، ١٩٥٦، ص١٣٧.
- زكي نجيب محمود: من زاوية فلسفية، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٩، ص٢٠٢.
- لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية ، (مادة / ذريعية Pragmaticisme) ، ص ١٠١٢ – ١٠١٧ .

[13] Erdmann . (J . E) , Op.Cit , P. 70 .

- أيضاً : زكي نجيب محمود ، من زاوية فلسفية ، ص ٢٥١ .

٤- ما ملامح (السوفسطائية المعاصرة) في الصين؟ وما وجه الإتفاق بين كل من: (السوفسطائي الإغريقي القديم)، و(المثقف السوفسطائي الجديد) في الفكر الصيني المعاصر؟

- **المنهج المستخدم :**

استخدمت في إعداد هذه الدراسة بعض مناهج البحث المناسبة، أهمها: **المنهج التاريخي**؛ لتتبع أثر النسبية السوفسطائية في الفكر المعاصر من خلال نماذج ممثلة (نيتشه، البرجماتية، السوفسطائية المعاصرة في الصين)، **والمنهج التحليلي**؛ لتحليل أهم الأفكار الفلسفية، والربط بينها، والمنهجين **النقدي والمقارن**؛ للمقارنة بين الأفكار الفلسفية علي مدار عصور الفكر، وتقديم النقد الملائم لها.

أولا/ النسبية في الفكر السوفسطائي:

إن البداية الحقة للنسبية المعرفية الأخلاقية قد ظهرت مع السوفسطائيين؛ الذين سعوا لتقديم الإنسان من وجهة نظر ذاتية ضيقة، وكان المال هو الهدف، فالسوفسطائي كان مثله كمثل التاجر، وكان الجدل هو مصدر تجارته الرابحة، وكانت الأخلاق والقيم والمعارف المختلفة هي السلع الرائجة، في وقت كانت الدعاوي القضائية هي مصدر الربح[١٤]. فالسوفسطائي هو ذلك الرجل الذي يأسر انتباه العالم، والذي يملك القناعات الرائعة وهو الذي يخطب ويجادل، فيقدم أفكارا ضحلة تحمل حلم الرفاهية للإنسان، فيحكم العالم من خلال فكر خادع، يغالط المعقول، ويأسر العقول[١٥].

إلا أنه لا يمكن التعرف بدقة علي المعرفة عند السوفسطائيين وأثرها في الفكر الفلسفي المعاصر، دون الإطلاع أولا علي مذهب كل من: **بروتاغوراس**[١٦] الذي استطاع أن يقدم سحر

---

[14] Ueberweg.(F):, History of Philosophy From Thales To The Present Time, V.1, Charles Scribner's Sons, NewYork,1909, P.70 -73.

[15] Lewes.(G.H), The History of Philosophy, V.1, Longman, Green, And Co., London, 1871, P.107 .

- أيضاً : محمد الخطيب : الفكر الأغريقي ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، ١٩٩٩، ص ١٢٩ .

[١٦] من أقدم الفلاسفة السوفسطائيين، وأكثرهم ذكاء وموهبة ، عاش في النصف الأخير من القرن الخامس ق.م ولد في أبديرا لأب ثري ، ويقال إنه تتلمذ علي يد حكماء الفرس ، فأخذ عنهم الشك ، وبدأ احتراف مهنة التعليم في سن الثلاثين ، ولقد اقتصرت مهمته علي اعطاء دروس ومحاضرات ، وأن يعد الآخرين ليكونوا ساسة واعتمد في مهمته علي فن الاقناع وتدريب الشباب علي الجدل . ولقد اتهم بالكفر عام ٤١١ ق.م ، بعد أن نشر كتابه (عن الحقيقة)، وقد وردت فيه العبارة التالية (لا أستطيع أن أعرف إن كانت الألهة موجودة أو أنها غير موجودة ، فهناك أشياء كثيرة تحول دون معرفتنا ذلك ، أهمها غموض الموضوع وقصر حياة الإنسان) فإتهم بالإلحاد وحكم عليه بالإعدام ، ورغم خداعه لقضاة أثينا إلا أنه مات غرقا حين تحطمت السفينه التي كانت تقله إلي صقلية ، من أهم أعماله : (عن الحقيقة) وهو الكتاب الذي بدأ بعبارة (الإنسان مقياس الاشياء جميعا، ما يوجد وما لا يوجد) مما يدل علي نسبية المعرفة ونسبية الأخلاق أيضا. ولقد كتب أفلاطون محاورة مهمة (بروتاجوراس) قارن فيها بين مذهب هذا الأخير ومذهب سقراط في الفضيلة .

-Taylor.C.C.W(ed) ,Routledge History of Philosophy (from The Beginning To Plato), V.1, Routledge, London and NewYork, 1997, P.P/228,229 .

- Ueberweg .(F) , Op.Cit , P P. 73 / 74.

- أيضاً : حربي عباس عطيتو ، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان ، ص ٢٢٩ – ٢٣٣ .

- أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٢٠-١٢٢.

الكلمات، وقوة الأسلوب، **وجورجياس**[١٧] الذي استطاع أن يقدم فن المناقشة، ومهارة الجدل في كل أنوع المناظرات[١٨].

١) بروتاغوراس Protagoras (٥٠٠ –٤١١ ق.م تقريباً):

لقد طرح بروتاغوراس سؤالاً رئيساً بُنيت عليه فلسفته النسبية: **هل القوانين الإنسانية مفروضة بالطبيعة؟ أي هل هي مطلقة؟ أم موضوعة، ترجع إلي إتفاق الناس فيما بينهم، وعلي حسب ظروف مجتمعاتهم؟** ولقد أجاب عن هذا التساؤل بأنه قد اهتدي إلي أن مصدر القوانين هو التواطؤ والإتفاق. فلقد إتفق الناس علي مجموعة معينة من القوانين، وهذه الأخيرة هي ما تيسر وتنظم حياتهم معا، فهي إذن قوانين وضعية اخترعها الإنسان بنفسه، وبما أن الناس يختلفون من مكان لآخر، فالقوانين أيضا تختلف من مكان لآخر بالضرورة. ومن ثم، فإن سلوكيات الإنسان وعاداته تعود إلي (العرف) الذي يسود مجتمعه، والذي يتحكم في الأفراد والمجتمعات علي السواء. ثم طبق بروتاغوراس هذه النظرية النسبية علي المعرفة أيضا[١٩] .

فلقد عبر بروتاغوراس عن الفكر السوفسطائي في كتابه (عن الحقيقة) بقوله: "**إن الإنسان مقياس الأشياء جميعا، سواء كانت هذه الأشياء موجودة أو غير موجودة**" وفي هذه العبارة تكمن الثورة الفكرية للسوفسطائيين في مختلف ميادين الفكر. فالإنسان هو من يحكم علي الأشياء الموجودة أنها موجودة، وعلي غير الموجود منها بأنه غير موجود، إذن المعرفة ترجع إلي الإنسان، هو الذي يقرر، وهو الذي يحكم، وبالتالي يكون الحكم متغيرا من إنسان لآخر، وتكون المعرفة نسبية ذاتية ليست معيارية، فيسود الشك، ويختفي اليقين. فكيف يمكن أن يتحقق اليقين والمعرفة هي ما يبدو لي؟ فالمعارف متعددة بحسب تعدد وجهات النظر، فلا توجد حقيقة مطلقة[٢٠].

– أفلاطون: محاورة بروتاجوراس (في السفوسطائيين والتربية)، ترجمة/ عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١، ص ص١٧٣/١٧٤.

[١٧] ثاني رواد الجيل الأول من السوفسطائيين ، ولد في مدينة ليونتيوم من أعمال صقلية حوالي عام ٤٨٠ق.م، اشتهر بفن الخطابة، وقد بهر الأثينيين بقدره الهائلة علي البلاغة، فجمع ثروة طائلة من التعليم، ومن مؤلفاته (في الوجود)، وتوفي حوالي ٣٧٥ ق .م .

- Taylor C.C.W(ed) , Routledge History of Philosophy , PP 233 / 234 .

– أيضاً : أميرة حلمي مطر ، مرجع سابق ، ص ص ١٢٤ / ١٢٥ .

– أيضا : جعفر آل يس ، فلاسفة يونانيون ، ص ١٣٦ .

[18] De Romilly.(J): The Great Sophists In Periclean Athens , Translated by: Lioyed.(Janet), Clarendon Press, Oxford, 2002, P.60 .

- Thomas (E): A Study In Greek Rhetoric, Catholic University Of America, Washington D.C, U.S.A, 1921, P.11 .

[19] Lewes. (G.H) , , Op.Cit , P . 122 .

– أيضاً: محمد عبد الرحمن مرحبا: تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها وحتي المرحلة الهلنسية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص١٦٢.

– أيضا : محمد علي أبو ريان ، مرجع سابق ، ص ٢٠٣ .

– راجع : جعفر آل يس ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

[20] Ueberweg .(F) , Op.Cit , P .74.

– أيضاً: مصطفي النشار، مرجع سابق، ص ص٧٠/٧١.

- Erdmann . (J . E) , Op.Cit , P 73 .

- Lewes. (G.H) , , Op.Cit , P . 121.

– أيضاً : حربي عباس عطيتو، مرجع سابق ، ص ٢٣٤ .

فالإنسان لا يمكن أن يصل إلي المعرفة لا عن طريق العقل، ولا عن طريق الحِواس، فإمكانات الناس المختلفة لا يمكن أن تصل بهم إلي المعرفة اليقينيه؛ فالمعرفة تتفاوت تبعاً لقدرات الناس، فالإنسان هو بيت القصيد، ووجهة نظره الذاتية تتوقف عليها معرفته الخاصة، وتعبا لاختلاف حالاته في الأوقات المختلفة، وبالتالي لا يوجد ما يسمي (الخطأ) أو (الصواب)؛ فالإنسان هو الحاكم الوحيد علي إحساساته وعقائده، وليس من حق أي إنسان أن يحكم علي وجهة نظر أخري أنها غير سليمة؛ فلا توجد حقيقة مطلقة يمكن أن نهتدي إليها للوصول إلي الحق، فالحق ذاتي تبعا الأهواء الذاتية، فلا توجد معيارية نلتمس من خلالها اليقين[٢١] .

فما يراه الإنسان هو حق بالنسبة له، فلا فرق بين ما أراه، وبين ما تنقله إحساساتي إليّ من صور، وبين ما يوجد في الواقع بالفعل، ولكن في الوقت نفسه، ما تراه أنت هو حقيقة بالنسبة لك أيضا! **فهل الحواس خداعة ؟** يجيب برتاغوراس: لا؛ إن الحواس أمينة في كل ما تنقله إليك، فهي تتلقي الانطباع الحسي، وتحيله علي الإنسان بكل أمانة وصدق، دون تغيير أو تبديل، وبالتالي فكل إنسان يري الشئ من زاوية مختلفة عن الآخر، ومن هنا تأتي النسبية، فلا يوجد شئ حق في ذاته، ولا يوجد شئ باطل في ذاته؛ فالفرد مقياس الصواب والخطأ، والإحساسات مختلفة باختلاف المكان والزمان، بالإضافة إلي أن حواس الإنسان ومشاعره شخصية، ولا يمكن نقلها إلي الآخرين، فالإنسان مثلاً لا يمكن أن ينقل إحساس الحمرة إلي إنسان ضرير أو مُصاب بعمي الألوان ولم ير هذا اللون من قبل، وبالتالي لا توجد حقيقة موضوعية يمكن نقلها للأخرين، ولكن الحقيقي متطابق مع ذاتية الفرد؛ فالرياح مثلا، يمكن أن يشعر إنسان ما أنها باردة، ويشعر إنسان أخر أنها دافئة، رغم أن الرياح واحدة إلا أن إحساساتنا بها تختلف من فرد لأخر، وبالتالي فإن الرياح في حد ذاتها لا يمكن الحكم عليها بأنها باردة أو دافئة[٢٢] .

وإنكار التفرقة بين الحقيقة الموضوعية والانطباع الذاتي هو إنكار التفرقة بين العقل والحس، فالأرض تبدو لي مسطحة، ولكني أعرف بالعقل أنها مستديرة، وحين نتعامل بمنطق بروتاغوراس سيصبح العقل ضحية عاجزة في أيدي الانطباعات الحسية الصادقة! فجميع الآراء صادقة عند بروتاغوراس، والخطأ مستحيل مهما كانت القضيتان المتناقضتان، فكلتاهما صادقتان فلا فرق بين الزيف والحقيقة، وسيكون الأمر سواء أن تقول كل الآراء صادقة، أو كل الآراء مزيفة؛ فلا شئ في الخارج يسمي الواقع الخارجي، توجد فقط انطباعاتنا الذاتية عنه[٢٣] .

وعلي هذا الأساس، يصبح العنصر الرئيس في فكر بروتاغوراس هو فكرة (الوجود) فإثبات وجود الشئ، أو عدم وجوده، وإثبات كيفية هذا الوجود يتوقف علي الإنسان نفسه، ونتيجةٍ لاختلاف الأحكام تصبح المعرفة نسبية، وبالتالي فإن مبحث المعرفة ملتصق التصاقا شديدا بمبحث الوجود عند بروتاغوراس، ولقد أدي هذا الربط بين المبحثين إلي الشك في وجود الآلهة،

– أيضاً: برهييه.إميل: تاريخ الفلسفة (الفلسفة اليونانية)، ترجمة/ جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢، ص١٠٨.

[21] Erdmann . (J . E) , Op.Cit , P. 73 .

- Waterfield.(B)(e.d): Oxford Word's Classics (The Pre Socratics And Sophists), Oxfotd University Press, Oxford, (without date), PP.207/208.

– أيضاً : محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

[22] Lewes. (G . H) , Op.Cit , P.121.

- Waterfield . (B) , Op.Cit , P . 207.

– أيضاً : محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق ، ص ص ١٦٣ / ١٦٤ .

– أيضاً ستيس . وولتر ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ص ١٠٢ / ١٠٣ .

[23] Waterfield . (B) , Op.Cit , P . 208 .

– أيضاً : ستيس . وولتر ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

والشك في إمكان معرفتهم أيضاً؛ فالألهة غير مُدركة بالحواس، وبالتالي تصبح موضوعاً غامضاً، والإنسان عمره الزمني قصير مهما طال، فضلاً عن إن إمكانات البشر مختلفة، فالمعرفة الإنسانية محدودة، وهذا الحد ما يجعل اليقين أمراً غير ممكن(٢٤) .

وبالنسبة للفضيلة، فقد ذهب بروتاغوراس إلي أنها مُكتسبة وليست فطرية؛ فالفضيلة يمكن تعلمها، فالإنسان لا يمتلك شيئاً من الفضائل بالطبيعة؛ فالإنسان في تطوره الحضاري في نظره قد مر بمرحلتين: **الأولي**، هي مرحلة الحياة الطبيعية وصراع الإنسان معها، **والثانية**، مرحلة الحياة الحضارية، وتكون المجتمعات، والقوانين الاجتماعية، والسياسية، والأخلاقية، وقيام الإنسان بالعلم والاختراع. وبالتالي فإن الإنسان لم يكن مخترعاً، أو صانعا، أو عالماً، أو سياسيا بالطبيعة، ولكنه استخدم ذكاءه في السياق الاجتماعي، بالإضافة إلي تراكم الخبرات وممارسة الحياة الفعلية المجتمعية(٢٥).

وما ينطبق علي المعرفة من نسبية، ينطبق أيضاً علي مجال الأخلاق ومجال السياسة، فإذا كان الفرد مقياس الصواب والخطأ، والحق والباطل، فهو أيضا مقياس الخير والشر، والعدل والظلم، والضرر والنفع؛ فالأخلاق نسبية تختلف باختلاف المجتمعات وقوانينها وشرائعها، إلا أن بروتاغوراس لا يترك الأمور إلي غير غاية؛ فالإنسان في المرحلة الحضارية يعيش في المجتمعات وفقا لقوانين معينة، تحد من حريته إلا أنها لا تضره في شئ، لأن الإنسان هو الذي فرضها علي نفسه(٢٦)؛ فهي ضرورية حتي لا تسود الفوضي(٢٧).

ويمكن القول: إن بروتاغوراس حين تحدث عن الخير، لم يتحدث عنه بصفته المعيارية؛ بل هي المنفعة التي هي مقياس الصدق في هذا الحكم، وكأن بروتاغوراس كان زعيما للنفعية؛ فالأخلاق والسياسة يتم الحكم عليهما بشكل ذاتي بالخيرية تبعاً لمدي الموائمة النفعية للإنسان (مما يؤكد فكرة انتقال أثر السوفسطائية إلي الفكر البراجماتي المعاصر)(٢٨) .

---

[24] Waterfield . (B) , Op.Cit , P. 210.

- أيضاً: أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، ص ٩٤ .
- أيضاً : عزت قرني ، الفلسفة اليونانية حتي أفلاطون ، ص ص ٩٢ / ٩٣ .

[25] Waterfield . (B) , Op.Cit , P P . 209 / 210 .

- أيضاً : أميرة حلمي مطر ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

[٢٦] محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ .

[٢٧] تري الباحثة أن هناك تشابها بين ماذهب إليه بروتاغوراس بشأن مراحل تطور المجتمعات الإنسانية من الطبيعية إلي الحضارية مع ما ذهب إليه كل الفيلسوف المسيحي توما الأكويني ، وفيلسوفا العصر الحديث توماس هوبز وجون لوك: فلقد ذهب توما الأكويني إلي أن الإنسان كان يعيش في صراع مع الطبيعة قبل تكون المجتمعات ، وكذلك ذهب توماس هوبز إلي أن عقل الإنسان ليس فطريا ، ولكنه ينمو ويتطور بالكد والمثابرة ، وأن الإنسان قبل تكون المجتماعات في الحالة الطبيعة كانوا يعيشون في حرب الكل ضد الكل ، وكان الإنسان ذئبا لأخيه الإنسان ، إلي أن تكونت المجتمعات التي أخفت عدوانية الإنسان وراء ستار من المدنية والأدب . أما جون لوك فقد أوضح أن الإنسان مر بمرحلتين هما : الحالة الطبيعية والقانون الطبيعي، والمرحلة الأخري هي مرحلة تكون المجتمعات والقانون الوضعي ، إلا أن الحالة الطبيعة لم تكن بغيضة كما رأي هوبز ، ولكنها كانت حالة فوضوية غير عدوانية سعيدة تسودها المساواة وفق العقل ، بالإضافة إلي إتفاق جون لوك وبروتاغوراس في رفض الأفكار الفطرية ، فالعقل عند لوك صفحة بيضاء تنقش عليها الحواس خبراتها بمرور الزمن .

<u>– راجع:</u>

- Waterfield . (B) , Op.Cit , P . 209 .

- أيضاً : رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الثاني ، ص ، ص / ٨٤ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦

[28] Waterfield . (B) , Op.Cit , P . 209 .

٢) جورجياس Gorgias (٤٨٣ – ٣٧٥ ق.م) :

إن فلسفة جورجياس شبيهة بفلسفة بروتاغوراس؛ ففي مؤلفه الرئيس (في اللاوجود)، أوضح ثلاث قضايا رئيسة بُني عليها فكره السوفسطائي، وهي:

أولا/ لا يوجد شئ Nothing exists، وبرهانه علي ذلك:

إن الموجود غير موجود، سواء أزلياً أو محدثاً؛ فلو كان أزلياً فلن يكون له بداية، وبالتالي فليس له وقتٍ محدد، ولا مكان محدد، وبالتالي فهو غير محدد زمنياً ولا مكانياً. ولا يمكن أن يكون محدثاً، لأنه لو كان ذلك، لوجب أن يكون قد صدر عن شئ، وكيف يمكن ذلك، ومن الأصل لا يوجد شئ؟ بالإضافة إلي أن الخليط من الموجود واللاموجود شئ غير موجود.

ثانياً/ حتي لو وُجد شئ، فهو مستعص علي الإدراك .

ثالثاً/ حتي لو أدُرك فلا يمكن الافصاح عنه، أو إيصال هذه المعرفة للآخرين؛ لأنها نسبية مختلفة من فرد للآخر([29]).

فالإنسان لا يمكن أن تصله معرفة يقينية عن وجود الأشياء في العالم الخارجي، لأن وسائل المعرفة الإنسانية (الحواس والعقل) لا تمدنا بالحقيقة الكاملة، وبالتالي تصبح تصوراتنا عن الأشياء الخارجية مختلفة عن الحقيقة الموجودة في الخارج بالفعل، وبالتالي تصبح المعرفة ممتنعة؛ فالحواس تخدعنا، وتقدم معلوماً غير الموجود بالفعل (كظاهرة السراب في الصحراء مثلاً)، وبالتالي فإن الحقيقة غير موضوع للعقل، ولا يمكن للعلم أن يحيط بها، فلا علاقة بين العلم والمعلوم، فهي علاقة انفصال، فضلا عن أن اللغة مليئة بالألفاظ التي لها أكثر من معني، والتي تؤدي إلي الارتباك في المعاني والأفكار، وبالتالي فلا فائدة للفلسفة، أو فائدة للعلم أيضا، فكلاهما يبحث عن الحقيقة التي لا وجود لها، ولذلك دعا جورجياس إلي هجر الفلسفة([30]).

أما بالنسبة للأخلاق، فلقد أوضح جورجياس أن الأخلاقيات والقوانين هي للضعفاء فقط، فالرجل القوي يستطيع أن يحمي نفسه، فهو يعرف خداع البشر، وبالتالي يكون قادراً علي تحطيم ماحوله من قيود، فيصبح سيداً علي الضعفاء، وبذلك يسود قانون الأقوي([31])، والسياسي القوي أيضا هو الذي يعلم كيف يمكن أن تُساس المدن، بقوة وبحزم، وهو الذي يشبع رغباته بقوة إلي حد التمام إلي أن يصل إلي اللذة الكاملة ويبلغ السعادة، فالقوة فوق الحق([32]).

- أيضاً : جعفر آل يس ، فلاسفة يونانيون ، ص ص ١٣٤ / ١٣٥ .

[29] Taylor C.C.W(ed) , Routledge History of Philosophy , P 234 . □

- أيضاً: ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلي أفلوطين وبرقلس، دار العلم للملايين، لبنان، ١٩٩١، ص٥٧.
- أيضاً : ستيس . وولتر ، مرجع سابق ، ص ص ١٠٥ / ١٠٦ .
- أيضاً يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٦١ .
- ايضا : أميرة حلمي مطر ، مرجع سابق ، ١٢٥ .

[30] Taylor C.C.W(ed) , Op.Cit , P. 234 .

- أيضاً : محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق ، ص ص ١٦٨ / ١٦٩ .
- أيضا : حربي عباس عطيتو ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥ .

[31] تتوافق كلمات جورجياس مع ما ذهب إليه كارل ماركس (ت / ١٨٨٣ م) في العصر الحديث ، حين أوضح أن الدين والقوانين للضعفاء فقط الذين لا يستطيعون حماية أنفسهم ، ولكن القوي قادر علي حماية نفسه ، وبالتالي فهو لا يحتاج إلي الدين، أو إلي القانون الوضعي.

[32] حربي عباس عطيتو ، مرجع سابق ، ص ٢٤٧ .

- أيضا : محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

ويمكنني القول: إن نظرية جورجياس في القوة ما هي إلا إقراراً لقانون الغابة؛ فالبقاء للأقوي، وليس للأصلح، ولا مكان للأخلاقيات، أو للقوانين، أو للفضيلة؛ مادام القوي من حقه أن يرضي شهواته كما يشاء، وأن يفعل ما يشاء، ولن يحاسبه أحد، فالقوة فوق الحق، وبالتالي فهذا هدم لفكرة المجتمع من أساسها، فما المجتمع إلا قوانين ومؤسسات، وعدالة، ومسئولية، وإذا اختفت كل هذه المعايير، فلا وجود للمجتمع، بل هو تجمع همجي، عشوائي، لا تحكمه قوانين، ولا مبادئ. وبالتالي يكون جورجياس في هذه النقطة قد وصل إلي نقطة أبعد مما وصل إليه بروتاغوراس فيما يتعلق بالفضيلة؛ فعلي الأقل قد أشار بروتاغوراس إلي القوانين، وإلي وجود مرحلة حضارية علي الإنسان أن يسير وفق مقوماتها، إلا أن جورجياس قد هدم كل هذا.

ثانيا/ أثر السوفسطائية في الفكر الفلسفي المعاصر:

١) نيتشه (ت/١٩٠٠ م):

رأي بعض الباحثين أن في فلسفة نيتشه استباقاً للبراجماتية، وذلك علي أساس إتفاقهما في أن العقل خاضع لحاجتنا النفعية، والقيم خاضعة للوجود، بالإضافة إلي إتفاقهما الواضح في فكرة الحقيقة؛ فالمرء يحكم علي الشئ بأنه حقيقي، ويكون مسلكه في الإتجاه السليم، حين لا يحدث شئ ما من شأنه أن يضر بمصلحة الإنسان؛ فغياب البطلان والزيف هو قوام الحقيقة. فالحقائق من خلق الإنسان، ومقياس صحة الأفكار هو نفعها أو صلاحيتها للعمل، من هنا تغيرت الحقائق بتغير المواقف، وما يصلح لكل منها، فاختفت الحقيقة الثابتة، وحلت النسبية بدلاً من المعيارية، فالحقيقة هي ما ينفع للحياة[٣٣]، وكأننا عدنا مرة أخري إلي الفكر السوفسطائي النسبي!

وفلسفة نيتشه الأخلاقية وحديثه عن صراع القيم، وعن أصل الأخلاق وفصلها، وفكرته عن معرفة العالم الحقيقي تعبر، بشكل أو بآخر، عن إمتداد أثر السوفسطائية في الفكر الفلسفي المعاصر؛ فكما ذهب بروتاجوراس من قبل إلي أن الشئ غير المدرك لا يمكن معرفته، وكما ذهب جورجياس إلي أنه لا شئ موجود، وإذا وجد فلا يمكن إدراكه، وإذا إدركته فلن يمكنك أن تنقل معرفتك به للآخرين، أوضح نيتشه في كتابه (أفول الأصنام) كيف غدا العالم الحقيقي (عالم المثل والقيم الثابتة) خرافة وكيف أن العالم الحقيقي ممتنع، ولا يمكن إدراكه؛ فحتي الحكيم الورع الذي يقضي حياته كلها بحثاً عن العالم الحقيقي لا يعلم أنه لا يوجد مثل هذا العالم.

فيقول نيتشه: "فالعالم الحقيقي منيع! علي أيه حال غير مُدرك، وبما أنه غير مُدرك فهو مجهول، لا يمثل عزاءً ولا التزاما[٣٤]، فيم سنُلزم من طرف شئ نجعله؟ العالم الحقيقي فكرة لم تعد صالحة لأي شئ، لم تعد تدعو لأي شئ، فكرة غير نافعة، غير مجدية، إذا فكرة مرفوضة، لنبطلها"[٣٥].

فعالم القيم والأخلاق هذا العالم المثالي الذي ينادي به الحكماء والفلاسفة، في نظر نيتشه ليس له وجود خارجي، لأنه عالم غير مُدرك، بالتالي فهو عالم مجهول بالنسبة للإنسان. فالعالم في نظر نيتشه يتركز حول الإنسان، والإنسان خالق للقيم، وليس لها خارج الفاعلية الإنسانية أي كيان واقعي، فالإنسان هو ما أعطي للكون ما فيه من معان ومن قيم ومبادئ؛ فالناس هم الذين أعطوا لأنفسهم خيرهم وشرهم، فهم لم يتلقوا هذه المعانٍ، ولم تهبط إليهم من السماء (**وهنا**

---

[٣٣] فؤاد زكريا: نيتشه، دار المعرفة، القاهرة، ط٣، (د.ت)، ص ص٤١/٤٢.

[٣٤] نلاحظ هنا ربط الإدراك بالمعرفة، وعدم الإدراك بالغموض والمجهول، كما أوضح بروتاغوراس من قبل من أنه غير متأكد من وجود الآلهة؛ نظراً لكونها غير مُدركة حسياً.

[٣٥] نيشته: أفول الأصنام، ترجمة/ حسن بورقيه، محمد الناجي، دار أفريقيا الشرق،(د.م)، ١٩٩٦، ص ص٣٣/٣٤.

يتوافق نيتشه مع ما ذهب إليه بروتاغوراس بشأن أن القوانين والأخلاقيات وضعية وليست فطرية) وهذه دعوة صريحة من نيتشه للإنسان كي يمارس فاعليته في حياته بمنتهي الحرية، فلا شئ يقف في وجهه، لا قيم دينية، ولا معايير أخلاقية ثابتة[٣٦].

فالقيم مرتبطة بالحياة، وهذا أوضح دليلٍ علي نسبيتها؛ لأن الحياة ذات مطالب متجددة، وبالتالي فإن القيم تختلف من وقت لأخر تبعا لهذه المطالب، وارتباطها بالنفع الحيوي للإنسان، فالقيم ليست مثلا عليا لا يحق للإنسان مخالفتها؛ إنما هي كامنة في الواقع، وفي الحياة ذاتها، وبالتالي فإن الباب مفتوح أمام الإنسان ليغيرها (علي عكس النظرة المعيارية للقيم) [٣٧].

فيقول نيتشه في هذا الصدد: **"إنني لأشمئز من فظاعة الرجل حين يقول: ماهو حق لواحد فهو حق لأخر، لا تفعل للأخر ما لا ترغب أن يفعلوه نحوك، فمثل هذه المبادئ يسرها أن تقيم النشاط الإنساني علي خدمات متبادلة بحيث يظهر كل فِعل وكأنه ثمن فوري بشئ ادي لنا؛ فالفرض هنا وضيع إلي الدرجة الأخيرة، فقد أصبح مُسلما به أن ثمة ضربا من التعادل في القيمة بين أفعالي وأفعال الآخرين"**[٣٨].

فنيتشه هنا يرفض المعيارية في القيم؛ لأن المعيارية تجعل القيم ثابتة بين الناس جميعاً، فما هو خير لي، هو خير لك، والمعاملة الحسنة لي، تقابلها المعاملة الحسنة لك، ولعل هذا ما نادي به رسولنا الكريم- صلي الله عليه وسلم- بأن نعامل الناس كما نحب أن يعاملوننا؛ لأن ذلك من شأنه أن يسمو بالقيم الإنسانية والسلوكيات المجتمعية، إلا أن نيتشه يرفض هذا الأمر، ويعلل رفضه بأن السلوكيات المجتمعية أصبحت، هكذا، تُبني علي الخدمات المتبادلة؛ فسلوك نحوي، يقابله سلوكي نحوك، ونيتشه لا يريد ذلك، لا يريد المعيارية، بل يريدها قيما نسبية متغيرة من فرد لأخر، دون الرجوع لمبادئ ثابتة يتم تقييم السلوك الإنساني علي أساسها، **ولكني أري** أن نيتشه هكذا قد أغفل الفكرة الرئيسة التي يقوم عليها أي مجتمع وهي فكرة التفاعل والتعاون الاجتماعي بين الناس، وفكرة تبادل الخبرات والمعارف، فكيف يمكن أن يحدث تفاعل اجتماعي سليم بين الأفراد دون وجود قيم ثابتة تحدد أسلوب التعامل بينهم، وكيف يمكنني معاقبة شخص ما، أو إثابة شخص ما علي فعل قام به، دون أن أمتلك معاييرا ثابتة يستند إليها حكمي الموضوعي؟

فيقول نيتشه: **" الظواهر الأخلاقية لا وجود لها في ذاتها، كل ما هنالك تفسير أخلاقي للظواهر فحسب، وهذا التفسير نفسه صادر عن ينبوع خارج عن الأخلاق"**[٣٩] ولقد أوضح نيتشه ما يقصده بهذه العبارة في المبحث الأول (**الخير والشر، الطيب والخبيث**) في كتابه (**أصل الأخلاق وفصلها**)، فالإنسان عامة والفيلسوف خاصة– بالإضافة إلي علماء النفس ورجال الدين– يحاولون علي مر العصور أن يبحثوا في أصل الأخلاق، وتطورها، وإبراز هذا الجزء الغامض من تكوين الإنسان الداخلي، إلا أن نيشتة يعد هذا البحث (سخافة)؛ لأنه يبدأ بتحديد معني الطيب والشرير، كأصل من الأحكام الأخلاقية المهمة، وذلك بناءً علي أفعال معينة (ينبغي) أن يقوم بها الطيب، وأفعال معينة يقوم بها الشرير" **فقد قالوا هذا الشئ هو عبارة عن كيت وكيت، فألصقوا بشئ من الأشياء، أو بفعل من الأفعال لفظة من الألفاظ، ومن هنا تملكوا، إن جاز القول ذلك القول أو**

---

[36] Cohen,(M): 101 Philosophy Problems, Routledge, London And NewYork, 2007 P.191.

- أيضاً : فؤاد زكريا ، نيتشه ، ص ص ٥٧ / ٥٨ .

[37] Brinton.(C): Nietzsche, Harvard University Press, U.S.A, 1948, P.63 .

- أيضاً : فؤاد زكريا ، مرجع سابق ، ص ص ٥٨ / ٥٩ .

[٣٨] نقلاً عن: رسل.برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، الكتاب الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١، ص ٣٤٤.

[٣٩] نقلاً عن: عبد الرحمن بدوي : نيتشه ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٥ ، ص ١٦٣ .

ذلك الفعل.. فكلمة طيب لا تتصل بالضرورة بتاتاً بالأفعال غير الأنانية، كما هي الحال بالنسبة للأراء السابقة لدي مؤرخي أصل الأخلاق"[٤٠].

فالإنسان يبني أحكامه الأخلاقية علي أسس نفسية خالصة، وتبعاً لإرادته يحدد الطيب والشرير أو الرفيع والوضيع، فأحيانا يكون (التقزز) من فعل ما- وليست قيمة الفعل- هو الذي يتحكم في التمييز بين الرفيع والوضيع، وهذه إحدي النقاط التي تميز المذاهب الأخلاقية الأفعال علي أساسها إلي طيب وإلي شرير؛ فالفرد خالق لكل الأحكام الأخلاقية[٤١].

إذن يمكنني الاستنتاج أن الأحكام الأخلاقية في نظر نيتشه أحكام وضعية وضعها الإنسان بناءً علي سلوكيات محددة ألصقها بها، فإذا فعل الإنسان كذا أو كذا، يكون طيبا، وإذا فعل العكس يكون شريرا، بمعني أنه يتم تفسير الظواهر الأخلاقية (السلوكيات) علي أساس وضعي خارج الأخلاق المعيارية، أي أن الينبوع الذي نستقي منه أحكامنا الأخلاقية أساسه إنساني وضعي، قد ربط الأحكام الأخلاقية بأفعال معينة، كربط الطيبة بالأفعال غير الأنانية، أو كربط أحد الأفعال الشريرة بشعور التقزز!

بالإضافة إلي أن نيتشه أوضح في كتابة (أصل الأخلاق وفصلها) أن كلمة (طيب) اختلف معناها في مختلف اللغات، ومرت من حيث المفهوم بكثير من المراحل، فمثلا **من الناحية الاجتماعية**، كلمة طيب تعني النبل أو التميز من حيث المرتبة الاجتماعية، في حين تعني (الخبيث) المبتذل، أو السيئ، أو إنسان العامة (أي يتم تناول الطيب والخبيث علي أساس الأصل الاجتماعي). ولقد ظهرت كثير من النظريات الاجتماعية المختلفة التي توضح كيف يمكن للنبيل أن يشعر بأنه في مرتبة رفيعة أي (طيب) ، وهذا أدي إلي ظهور ألفاظ أخري (كالسيد، والقوي، والرئيس، والثري، والمالك)[٤٢].

ومن الناحية الدينية، نجد أن لفظ (طيب) بالنسبة للكهنة يعبر عن الإنسان الطاهر، الذي يمتنع عن الرذائل والأفعال غير الأخلاقية، وهو المحبوب من الله، الذي يعطف علي الضعيف، ويرفض الحرب، في حين أن الطيب بالنسبة **للطبقة الأرستقراطية** هو القوي، المسيطر، السيد، الذي يخوض الحرب ويمارس الصيد، والرقص. والإنسان هو الذي يحدد من هو (الشرير) بناء علي تحديده لمن هو (الطيب) ، وفي الوقت نفسه نجد أن (الشرير) هو نفسه (الطيب) في أخلاق أخري[٤٣]، بل أننا نجد أن نيتشه نفسه قد أوضح أنه يفضل الشر علي الخير في بعض الأحيان، بل أنه يذهب إلي أنه من الخطأ أن يكون الواجب دائماً أن نهدف إلي انتصار الخير ومحو الشر[٤٤].

فالإنسانية تعيش علي عبادة الأصنام، أصنام في الأخلاق، وأصنام في السياسة، وأصنام في الفلسفة، فهي آلهة باطلة اخترعها الإنسان، ثم عبدها، وإذا أراد الإنسان أن يفتح له طريقا جديدا

---

[40] Cohen , (M) , Op.Cit , P. 191 .

- أيضاً : نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة/ حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت)، ص ص٢٣/٢٤.

[٤١] فؤاد زكريا ، نيتشه ، ص ٥٩ .

[42] Small.Robin: Nietzsche, Published in Routledge History of Philosophy 19th century, edited by: Ten (C.L), Routledge, London And NewYork, 1994, P.161.

- أيضاً : نيتشه ، أصل الأخلاق وفصلها ، ص ٢٤ – ٢٧ .

[٤٣] نيتشه ، أصل الأخلاق وفصلها ، ص ٢٧ – ٣٦ .

[44] Scruton.Roger: A Short History Of Modern Philosophy, Routledge, London And New York, 1981, P.187 .

- أيضاً : رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الثالث ، ص ٣٤٣ .

في الحياة، فعليه أن يمتلك الشجاعة ليحطم كل هذه الأصنام؛ فالعالم من صنع الإنسان، وعلي الرجل الممتاز أن يعلم أن الحياة كفاح، وأن عليه أن يهدم كل القيم الباطلة التي إتخذها الناس لقياس الخير والشر، والباطل والحق، والطيب والخبيث، والجميل والقبيح، وهذا الرجل الممتاز هو صاحب العقل الحر الذي يرفض كل الموروثات الآتية عن الوسط أو العصر أو التراث الإنساني، أي أنه يرفض الأوهام الإنسانية التي تقول: هذا طيب، وهذا شرير، وهذا جميل، وهذا قبيح؛ فهذه هي الأحكام التي تحدد علي أساسها المعايير التي اصطلح عليها الناس ويسيرون حياتهم علي أساسها، هذه المعايير التي تسمي (القيم)، وهي تتوقف علي الفرد، أو المجموعة التي صنعتها([٤٥]).

ولما كان الناس يختلفون في تقديرهم للأشياء، وفي وضع القيم، حسب طبائعهم، أو تبعاً للزمان والمكان الذين يحيون فيهما، أصبح هناك نوع من الفوضي في تقدير الأفعال، وبالتالي أصبح كل إنسان يحكم علي هواه، فساءت الحياة الاجتماعية، والوجود بشكل عام، وهذا أدي إلي أن يحاول الإنسان أن يبحث عن مصدر آخر للقيم غير الإنسان، حتي يمكن أن تكون هذه القيم معيارية وليست ذاتية، فتكون قيماً ثابتة لا تختلف باختلاف الأفراد، فذهب رجال الدين إلي أن القيم مستمدة من الله، فهو مانح القيم، ويعلن عنها عن طريق الرسل والكتب السماوية. وذهب الفلاسفة إلي أن القيم مستمدة من عالم مثالي، أعلي من العالم الإنساني، وضعت فيه كل القيم في أعلي صورها (مثلما قال أفلاطون)، وذهب فريق أخر إلي أن القيم مصدرها العقل المجرد، بصرف النظر عن التجربة والواقع والغاية من وراء الفعل (مثلما ذهب الفيلسوف الألماني كانط ت/ ١٨٠٤ م)، فقال كل هؤلاء بما يسمي الخير في ذاته، أو الحق في ذاته، أو الجمال في ذاته، وأصبح الناس يقولون: الواجب علينا أن نفعل كذا، وألا نفعل كذا ([٤٦]).

إلا أن نيتشه يوجه حديثه إلي كل هؤلاء فيقول لهم: **" أنتم لا تخدعون بهذا غير أنفسكم"** فالأخلاق- تبعاً لدراسة قام بها نيتشه تتبع فيها أصول المذاهب الأخلاقية علي مر التاريخ الفلسفي- ليست صنفاً واحداً عند كل هؤلاء الفلاسفة؛ بل هناك أنواع مختلفة من الأخلاق، ولكل صنف منها طابعه الذي يميزه عن غيره، وهذا الاختلاف يدل علي أنها ليست أخلاقاً معيارية؛ بل وضعية وضعتها شعوب وأجناس مختلفة، فحدث خلط بين الحكم الأخلاقي المتغير والمختلف من إنسان لأخر، وبين الفعل الأخلاقي نفسه، فتكونت هذه الأوهام الإنسانية التي أصدرت هذه الأحكام الأخلاقية ([٤٧]).

فهل علي الإنسان (الممتاز) في نظر نيتشه أن يعيش بلا فضائل؟ وبلا أخلاق؟

يقول نيتشه في كتابه (أفول الأصنام): **"كيف اخترتم الفضيلة والأحاسيس المتحمسة؟... لكن باختيار الفضيلة نتخلي عن كل الامتيازات"**([٤٨]).

ويقول في موضع آخر من الكتاب نفسه: **"هل نُسئ حقاً نحن اللاأخلاقيين للفضيلة؟ قليلاً مثلما يفعل الفوضويين للأمراء، فهؤلاء لم يتوطدوا علي عروشهم إلا بعد أن أصبحوا هدفاً، المغزي: أن نرمي الأخلاق"**([٤٩]).

ويقول أيضاً: **" هناك نوع من كره الكذب والرياء نابع من معني حاد للشرف، غير أن نفس الكره يمكن أن يكون أيضاً محض جبن، عندما يكون الكذب مُحرماً بأمر إلهي، من فرط جبنه لا يكذب!"**([٥٠]).

---

[٤٥] عبد الرحمن بدوي ، نيتشه ، ص ١٦٣ – ١٦٧ .

[٤٦] عبد الرحمن بدوي ، نيتشه ، ص ١٦٧ – ١٦٩ .

[٤٧] المرجع السابق، ص ١٧١ .

[٤٨] نيتشه ، أفول الأصنام ، ص ١١ .

[٤٩] المصدر السابق ، ص ١٥ .

وهذه العبارة الأخيرة تفسر ما قبلها من عبارات، و تُظهر مدي تمرد نيتشه علي القوانين سواء كانت قوانين إلهية أو قوانين اجتماعية؛ فالامتناع عن الكذب في الحالة الأولي هو الامتناع نفسه في الحالة الثانية، إلا أن رفض الكذب في الحالة الأولي يعد أسمي وأفضل عند نيتشه، لأن صاحب الفعل يقوم به بدافع من داخله حفاظا علي شرفه، وليس خوفا من العقاب الإلهي، في حين أن الذي يخاف من العقاب الإلهي وبالتالي لا يكذب، هو شخص جبان؛ لأنه يأتي بالفعل خوفا من العقاب وانصياعا لرجال الدين، وقداسة الأوامر الإلهية؛ فالامتناع عن الكذب هنا إذن ليس فضيلة. إذن المحك الرئيس في نظر نيتشه للتفريق بين الأفعال هو مدي استقلالية تفكير الفرد، بعيدا عن الموروثات الإنسانية، سواء دينية أم اجتماعية أم قانونية، إن الأمر إذن ليس رفضا تاما للأخلاق بشكل عام، ولكنه رفض للأخلاق التي تكون بوصاية دينية أو أجتماعية.

ويدعم صدق هذه الفكرة، إلي حد ما، ما ذكره نيتشه بأن ثمة نوعين من القديسين: القديس بالطبيعة، والقديس بالخوف: فالأول رجل يفعل الخير لأن فعله يجلب له السعادة، أما الأخر فهو كمثل الرجل الذي يمتنع عن السرقة خوفا من الشرطة فقط، فهذا الرجل كما قال نيتشه في كتابه (ما وراء الخير والشر): إنسان "**مُتأخلق**"([٥١]).

لقد رأي نيتشه أن كل أخلاق سليمة تسودها غريزة من غرائز الحياة، إلا أن القوانين التي تقول لك: يجب عليك، ولا يجب عليك، هي الأخلاق المضادة للطبيعة؛ لأنها أخلاق مُلقنة، تسير علي العكس تماما، ضد غرائز الحياة، فهي نفي لإرادة الحياة، وكأنها تقول للإنسان: **اهلك!!** فكم هو ساذج أن نقول لإنسان ما: يجب علي الإنسان أن يكون هكذا أو هكذا؛ بل يجب علي الإنسان أن يكون له صورته الخاصة (صورة دعه يمر)، وإلا سيكون الأمر بمثابة الإكراه؛ لأن (دعه يمر) هو الطبيعة، والطبيعي([٥٢]).

ولكن، هل الأخلاق غير المُلقنة هي للبشر جميعاً؟ أم لفئة معينة؟

تظهر نسبية نيتشه الأخلاقية في حديثه عن نوعين من الأخلاق أدركهما أثناء رحلته التي قام بها بين مختلف أنواع الأخلاق الرفيعة والوضيعة علي مر التاريخ الفلسفي هما: **أخلاق للسادة، وأخلاق للعبيد**، ذلك لأن تحديد القيم الأخلاقية قام به نوعان من البشر: إما السادة، وإما العبيد، فيكون الحكم علي شئ ما بأنه جيد أو ردئ، أو الحكم علي شخص ما بأنه طيب، أو شرير علي حسب مكانة الشخص، من هنا فإن كل أحكام الخير والشر تقع علي عائق الأفراد، لا علي الأفعال التي يأتونها. فالأرستقراطيون يضعون أخلاقا خاصة بهم، ثم يثور عليهم العبيد، ويخلقون قيما أخري جديدة تقابل أخلاق الأرستقراطيين، فيعدون شرا ما يراه هؤلاء خيرا، والعكس بالعكس([٥٣]).

---

[٥٠] المصدر السابق ، ص ١٤ .

[٥١] نيتشه: ما وراء الخير والشر، ترجمة/ موسي وهبة، مكتبة الفارابي، (د.م)، (د.ت)، ص١٨٤.
- أيضاً رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الثالث ، ص ٣٥٠ .

[٥٢] نيتشه ، أفول الأصنام ، ص ٣٩ – ٤٣ .
- أيضاً نيتشه : ما وراء الخير والشر ، ص ص ١٣٠ / ١٣١ .

[53] Scruton . Roger , Op .Cit , P 186 .
- Small . Robin , Op.Cit , P P . 161 / 162 .
- Cohen , (M) , Op.Cit , P. 191 .
- أيضاً : نيتشه ، ما وراء الخير والشر ، ص ١٨٠ .
- أيضاً : عبد الرحمن بدوي ، نيتشه ، ص ١٧٢ – ١٧٦ .
- أيضا : رسل ، مصدر سابق ، ص ٣٤٤ .

ويري نيتشه أن الأخلاق غير المُلقنة (الصادقة) ليست للجميع؛ بل هي متوافرة في نوع معين من الناس هو النوع الأرستقراطي؛ فهي أخلاق غير مُربحة وغير حكيمة، تعزل صاحبها عمن هو أدني منه (أي العبيد)، وهي أخلاق ضد الديموقراطية التي يمكن أن تساوي بين السيد والعبد، فالأرستقراطي محب للغزو، معتز بقيمته وقوته، يحتقر الرحمة ويشمئز من الضعف، ولا يتسامح، ولكنه ربما يصفح عن الأخرين؛ ليس لأنه يحب العطف (أو لأنه يجب عليه العطف علي الآخرين)؛ ولكن لأن قوته غزيرة فتراها تفيض علي الآخرين. وهو لا يحفل بالحياة ولا بالنعيم، ولا بالسلام ولا الطمأنينة، إنما سعادته في الانتصار والتحطيم! وعليه أن يحافظ علي صفاته، لتظل نقية، فلا تنحل باتصالها مع الطبقة الإدني؛ وذلك حتي يضمن السيادة لنفسه دائماً[٥٤].

فلقد أوضح برتراند رسل أن أخلاق نيتشه ليست أخلاقا للتسامح الذاتي؛ فالصفات الأخلاقية الصادقة في نظره هي الصفات الوحيدة الممكنة للطبقة الأرستقراطية؛ لأن هذه الصفات وسيلة لإمتياز الفئة القليلة، فالناس العادية كائنات غير متقنة، ومرقعة، ولا يجد مانعا لمعاناتهم ما دامت هذه المعاناة ستنتج في النهاية الأرستقراطي العظيم الذي سيقضي علي الملايين من غير المكتملين، والمُرقعين، والضعفاء، هؤلاء الذين تروضهم الأديان، والقوانين. فالشر في ذاته، أو الخير في ذاته، يوجد فقط في القلة الأعلي الأرستقراطية، وما يحدث للباقي لا يدخل في الاعتبار؛ فالمنتصرين في الحرب وسلالاتهم يتفوقون عادة علي المنهزمين الضعفاء، وهؤلاء المنتصرين عليهم أن يملكوا زمام السلطة، وأن يديروا الأمور في إتجاه مصالحهم الخاصة فقط[٥٥].

وبوجه عام، فإن نيتشه بما قدمه من أخلاق تحكمها المصالح والأماكن والأزمنة المختلفة، قدم أخلاق نسبية تختلف من عصر إلي عصر، فما هو خير في وقت ما، هو شر في وقت آخر، تبعا لاختلاف المجتمعات، وطبائع الشعوب، والقوانين الوضعية، فيقول: **"في أثيولوجيا الخير (علم أسباب الخير)؛ ما يحسبه عصراً ما شراً، هو في العادة راسب غير عصري لما حُسب في عصر سابق خيراً"**[٥٦].

ولقد أوضح نيتشه أن فلاسفة المستقبل هم الفلاسفة الذين يدعوهم (مُجربين)، فهم ليسوا قطعيين، أو دجماطيقيين؛ ففيلسوف المستقبل عليه أن يقول: إن حكمي هو حكمي أنا، وليس لغيري حق فيه بكل بساطة، دون الإهتمام بما هو صواب أو ماهو خطأ، أو بما هو نافع، أو مضر، (فلا أخلاق ممكنة بدون محتد كريم) [٥٧].

فهو يقول لهؤلاء الفلاسفة الجدد: "**تحدث كما تشاء اليوم بكل حِدة؛ فحديث اليوم لليوم، وغداً تحدث بحِدة مرة أخري؛ فحديث الغد للغد، حتي لو تناقض حديث الغد مع حديث اليوم!**"[٥٨].

ويقول أيضا: " **علي المرء أن يتخلص من الذوق الرديء الذي يريد الإتفاق مع الأكثرية... فكيف يمكن أن يكون ثمة خير عام؟ إن اللفظ يناقض ذاته، ما يمكن أن يكون عاما له أبدا قيمة**

---

[٥٤] عبد الرحمن بدوي ، مرجع سابق ، ص ص ١٧٤ / ١٧٥ .

[55] Small . Robin , Op.Cit , P 162 .

- Cohen , (M) , Op.Cit , P. 191 .□

- أيضاً : رسل ، مصدر سابق ، ص ٣٤٣ – ٣٥٢ .

[٥٦] نيتشه ، ما وراء الخير والشر ، ص ١١٨ .

[57] Brinton. (C) , Op.Cit , P . 89 .

- أيضاً : نيتشه ، ما وراء الخير والشر ، ص ٧٢ .
- أيضا : رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الثالث ، ص ٣٥١ .

[58] Small . Robin , Op.Cit , P . 150 .

ضئيلة وحسب، وفي النهاية.. لابد أن تبقي الأشياء العظيمة للعظماء، والأغوار للسابرين.. وجملة واختصارا: يبقي كل نادر للنادرين"([59]).

٢) البرجماتية: الإنسان حيوان تجريبي

إن البراجماتية (الوسيلية / الذرائعية) فلسفة عملية ظهرت نتيجة الانتعاش الفلسفي الذي ساد الولايات المتحدة الأميريكية في القرن التاسع عشر، وهي فلسفة مهمة، لعبت دورا خطيرا في الفكر الفلسفي المعاصر. ولقد بنيت أركانها علي يد أئمة ثلاثة: **تشارلز بيرس** (ت/ ١٩١٤م) الذي اطلق عليها اسم البراجماتية، وفجر ينبوعها الرئيس الذي اتسعت روافده علي يد الفيلسوف وعالم النفس الشهير **وليم جيمس** (ت/١٩١٠م)، **وجون ديوي** (ت/١٩٥١م)([60]).

والفلسفات البراجماتية اسم يطلق علي الفلسفات التي تشترك جميعا في فكرة واحدة، وهي أن صحة الفكرة تعتمد علي مدي ما تؤديه هذه الفكرة من نفع، أيا كان نوع هذا النفع، أو علي حسب ما تؤديه من نتائج نافعة في الحياة (**وهذا يذكرنا بما ذهب إليه السوفسطائيون من قبل، وكذلك ما ذهب إليه نيتشه، ولذلك قيل أن نتيشه يعد استباقا للبراجماتية**)؛ فالبراجماتية يعرفها جون ديوي علي أنها النظرية التي تري أن عمليات المعرفة ومواردها إنما تتحدد في حدود الاعتبارات العملية أو الغرضية، فالبراجماتية عملية وليست تأملية، اعتمدت علي تأييد الوقائع التجريبية، فما تأخذه في الاعتبار الناحية العملية أكثر من الاعتبارات النظرية التأملية، أو الفكرية المجردة، فما يهم هو النفعية؛ فالمذهب الديني يكون نافعا حين يرضي الحاجة إلي الإيمان، ويُشعِر معتنقيه بالراحة والطمأنينة([61]).

فحقيقة الفكرة ليس في مقوماتها؛ بل يحددها ما تستطيع الفكرة أن تفعله في دنيا الأشياء، فالفكرة إذن (أداة) يطلبها الإنسان فقط لما تؤديه له من احتياجات أو مطالب، فهي ليست كاللوحة الفنية التي ينظر إليها إنسان في تأمل وإعجاب في ذاتها؛ ولكنها كمفتاح الباب، ما يهم أن يفتح الباب، فقط، فإذا لم يفتح هذا المفتاح الباب فهو بلا فائدة. فالفكرة خطة للعمل، قيمتها كلها مرهونة بمدي كونها صالحة للاستخدام العملي الفعلي، فالمقياس هو هذا السؤال: ماذا يمكنني أن أفعل بهذه الفكرة أو بتلك؟ هل ستحقق لي فائدة؟ وإجابتي عن هذا السؤال ستحدد ما إذا كنت سأقتنع بهذه الفكرة أم لا([62]).

وعلي هذا الأساس، إذا أردنا أن نصل إلي الوضوح في أفكارنا عن موضوع ما، فعلينا أن نفكر بالضرورة في الأثار العملية التي يمكن أن نتصورها متضمنة في الموضوع، وبالتالي تصبح وظيفة الفلسفة– كما قال وليم جيمس– أن تكشف الفارق بين إذا كانت هذه الصيغة للعالم، أو تلك،

---

[59] نيتشه ، ماوراء الخير والشر ، ص ٧٣ .

[60] جيمس.وليام: البراجماتية، ترجمة/ محمد علي العريان، تقديم/ زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ص ١/ ٢ .
- أيضاً : زكي نجيب محمود ، من زاوية فلسفية ، ص ٢٠٤ .
- محمد مهران، محمد مدين: مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٤٢.

[61] Pratt.(J.B): What is Pragmatism?, The Macmillan Com., NewYork, 1909, P.15 .
- Driscill.(J.T): Pragmatism And The Problem Of The Idea, Longmans And Green Co., London, 1915, P.24.
- أيضاً : محمد مهران ، مرجع سابق ، ص، ص / ٤٣ ، ٥٢ .

[62] Pratt . (J . B) , Op.Cit , P 15 .
- أيضاً : زكي نجيب محمود ، من زاوية فلسفية ، ص ص ٢٠٧ / ٢٠٨ .

صادقة. وبالتالي تصبح النظريات الفلسفية، في نظر البراجماتية، أدوات وليست إجابات على أحجية كما أوضح برتراند رسل(٦٣). **ولكن، مالذي يقصده البراجماتيون بصدق الفكرة؟**

أوضح زكي نجيب محمود أن هناك فرقا بين (**معني الفكرة**) وبين (**صدق الفكرة**)؛ فمثلاً إذا قيل: على سطح القمر جبال ووديان، فهناك أمران مميزان: أولهما/ أن يكون لهذا الكلام معني مفهوم يدل على خبرة حسية يمكن اللجوء إليها في عالم التجربة، وله نتائج علمية في الواقع، ثانيهما/ أن يكون هذا المعني صادقا على الواقع، وبالطبع لا يتحقق الصدق على الواقع مالم يكن للكلام معني، مع الأخذ في الاعتبار أنه من الممكن أن يكون للكلام معنيً مفهوما دون أن يكون صادقا على الواقع (وهذا ما أضافه جيمس لنظرية بيرس في المعني) (٦٤).

فكيف يمكن أن يقرر الإنسان أن فرضه، الذي يفسر به ظاهرة ما، فرض صحيح أو حقيقي؟

أوضح جيمس أن الإنسان يمكنه أن يقرر ذلك بسهولة على أساس أنه لا يجد ما يعترض طريقه في سبيل تنفيذ هذا الفرض في الواقع، أما إذا وجد من الوقائع ما يندد ذلك، عرف أن فرضه باطلا(٦٥).

فيقول وليم جيمس: "**ومن ثم، فإن الحقيقي باختصار جداً ليس سوي المطلوب النافع الموافق في سبيل تفكيرنا، تماما مثلما أن الصحيح ليس سوي المطلوب النافع الموافق في سبيل سلوكنا**". فالمفيد والنافع هو شكل من أشكال القيمة، وتقرير كون الشئ حقيقيا أم لا يرجع إلي الشخص نفسه (**وهذا يتشابه مع المبدأ السوفسطائي: الإنسان مقياس الأشياء جميعا**)(٦٦).

فهذه العبارة لجيمس تبين كيف أن الحق في البراجماتية ليس كيانا مجرداً قائماً بذاته معياريا كالذي بحث عنه الفلاسفة أمدا طويلا، بل هو طريقة عمل، أو طريقة أداء من شأنها أن تنجز أمرا ما له فائدة للإنسان، فالجملة التي لا يمكن جعلها سلاحا في يدك تشق به طريقك، هي جملة باطلة؛ لأنها بمنتهي البساطة بلا فائدة عملية، وعلي هذا الأساس يصبح الحق مرادفا للنفع، فنقول علي فكرة ما إنها نافعه لأنها حق، أو إنها حق لأنها نافعة. ففكرة ما تكون صادقة بقدر ما نعتقد أنها مفيدة لحياتنا؛ لأن الاختبار الوحيد الذي يملكه الإنسان لصدق الفكرة، أو الفرض، هو الفائدة العملية لها(٦٧) .

فالصادق أو الصالح- كما قال وليم جيمس- هو ما يأتي بالربح، ولا يمكن أن ننكر أن الصدق هو نوع من أنواع الخير، ومادام الصدق نسبي يتغير من موقف لموقف، فالخير أيضا نسبي يتغير من موقف لموقف(٦٨).

---

٦٣ رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الثالث ، ص ٤٠٧ .

٦٤ زكي نجيب محمود ، من زاوية فلسفية ، ص ، ص / ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ .

٦٥ المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

66 Pratt . (J . B) , Op.Cit , P 15 .
- Driscill .(J . T) , Op.Cit , P 25 .
- أيضاً : جيمس.وليام، البراجماتية ، ص ٢٦١ .

67 Sabin.(E.E): William James And Pragmatism, The New Era Printing Com., U.S.A, 1916, P.16.
- Pratt . (J . B) , Op.Cit , P. 15 .
- أيضاً : زكي نجيب محمود ، من زاوية فلسفية ، ص ٢١٥

68 James.William: Essays In Pragmatism, Hafner Publishing Co., NewYork, 1948, P.155.
- أيضاً : رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الثالث ، ص ٤٠٧ .

فيقول جيمس: **"فإن الحقيقي... مطلوب ونافع وموافق علي أي نحو أيا ما كان تقريباً، مطلوب ونافع وموافق في المدي الطويل وعلي الإجمال طبعا... وفي غضون ذلك يتعين علينا أن نعيش اليوم وفقا لأيه حقيقة يتسني لنا الحصول عليها الآن، وأن نكون مستعدين غدا لأن ندمغها بالباطل"**[٦٩].

فما هو مفيد بالنسبة لك قد لا يكون مفيداً بالنسبة لي، وماهو مفيد بالنسبة لي اليوم، قد لا يكون مفيدا لي غدا[٧٠].

وأري أن هذه الجملة لجيمس تتوافق مع ما ذكره نيتشه من قبل من أن الإنسان عليه أن يتحدث اليوم كما يريد، ويتحدث غدا كما يريد، حتي لو ناقض الغد حديث الأمس؛ فلا يوجد موقف ثابت، أو خير ثابت، أو حقيقة ثابتة، بالإضافة إلي أن هذه الجملة هي اعتراف صريح بفكرة النسبية الأخلاقية؛ فالمطلوب هو خير ونافع وموافق وأخلاقي مادام يحقق المنفعة، بغض النظر عن الموقف نفسه، مادام يحقق الفائدة العملية للإنسان علي المدي الطويل (يظهر لي هنا تأثر جيمس بمبدأ المنفعة العامة عند **بنثام** (ت/١٨٣٢م) خاصة وأن الأخير قد حدد معايير معينة يتم تقييم اللذة علي أساسها كمدي استمراريتها، وشمولها لأكبر عدد ممكن من الناس).

بالإضافة إلي أن هناك نصاً آخر لجيمس يظهر النسبية أكثر وأكثر؛ فيقول: **"إن الحق يجب دائما أن يفضل علي الباطل عندما يرتبط كلاهما بالموقف، ولكن عندما لا يرتبط أي منهما بالموقف، فإن الحق يتساوي مع الباطل في كونه ليس واجبا"**[٧١].

ويتضح لي من هذا النص أن جيمس يساوي بين الحق والباطل في جميع الحالات؛ فتبعاً للبراجماتية يتم تحديد الحق والباطل تبعا لنتائج الموقف، وعلي حسب الفائدة التي سوف تعود علي الإنسان، فإذا كان الصدق مفيدا ونافعا لي في موقف ما فهو إذن صواب، وإذا كان قولي للحقيقة سوف يسبب لي الإذي، فالصدق هنا خطأ، والكذب هو الصواب! وبالتالي أصبحت القيم الأخلاقية كالسلع التي يزيد ثمنها، أو يقل، علي حسب العرض والطلب! هذا في حالة وجود موقف معين، أما إذا لم يحدث موقف يستدعي إصدار الإنسان لحكم أخلاقي، فإن جيمس يقرر أن القيم ستتساوي أيضا في قيمتها الأخلاقية، فالحق سوف يتساوي مع الباطل في كون كل منهما بلا فائدة عملية، إلي أن يحين موقف معين، ويقرر الإنسان وقتئذ أيهما سيختار تبعا لمصلحته[٧٢].

---

[٦٩] جيمس.وليام ، مصدر سابق ، ص ص ٢٦٢ / ٢٦٣.

[70] Driscill .(J . T) , Op.Cit , P. 25 .

[٧١] جيمس.وليام ، البراجماتية ، ص ٢٧٣ .

[٧٢] تري الباحثة أن البراجماتية لها جذور فلسفية لا تظهر فقط في الفكر السوفسطائي النسبي ، ولكن يمكن ملاحظتها أيضاً في فكر الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز (ت / ١٦٧٩ م) الذي ذهب إلي أن ما يحرك الإنسان هو الانفعالات ، وخاصة ما يتعلق بالرغبة والنفور ، فالحب مثلا مثير للرغبة ، ولذلك ندعوه شيئا حسنا ، ولكن حين يكون مثيرا للنفور ندعوه شيئا سيئا (أي قيمته نسبية كما ذهب السوفسطائيين من قبل)، ولقد ذهب الفيلسوف الإنجليزي جون لوك (ت / ١٧٠٤) إلي قول مشابه حين أوضح في فلسفته الأخلاقية أن الأشياء تكون خيرا أو شرا فقط من حيث ارتباطها باللذة أو الألم ، بحيث إننا ندعوه خيرا ماهو خليق أن يسبب اللذة فينا ، أو يخفف الألم ، بحث يكون تفضيل الفضيلة علي الرذيلة هو حكم خاطئ واضح الخطأ ، إلا أن لوك قد اختلف عن هوبز حيث تحدث عما يسمي (الحساب العقلي للذة) وهو ما يسميه (بالتبصر) فالإنسان عليه أن يكون بعيد النظر، ولا يفضل اللذة الحاضرة أكثر من اللذة المستقبلية ، ولا التي في المستقبل القريب أكثر من التي في المستقبل البعيد ، بل عليه أن يهتدي إلي مصالحه الشخصية بعيدة المدي (نلاحظ ارتباط اللذة بالمصالح الشخصية كما في الفلسفة البراجماتية المعاصرة)، وفكرة الحساب العقلي للذة قد تطورت بعد ذلك علي يد فلاسفة مذهب المنفعة العامة الذين قدموا معايير معينة يتم تقييم اللذة علي أساسها بنثام (ت / ١٨٣٢ م) وجون ستيوات مل

فالحقيقة إذن لا تتوقف عن النمو، ولا تتوقف عن الاختلاف، فالمصالح هي ما تحكمها، والتغير في المواقف هو الذي يحدد إصدار الأحكام، **"إن حقيقة فكرة ليست خاصة أو صفة كاسدة متوقفة عن التقدم والنماء، وليدة ذاتها فيها، إن الحق يحدث للفكرة، الفكرة تصبح حقيقية أو صحيحة، إن الأحداث تجعلها صحيحة أو حقيقية.. إن الاتفاق، في أوسع معني، مع حقيقة أو واقع، لا يمكن أن يعني إلا الاهتداء.. إلي ملامستها عمليا"**(٧٣) .

ويتضح لي من هذا النص توافق جيمس مع ما ذهب إليه نيتشه من قبل من أن القيم تسير جنبا إلي جنب مع مطالب الحياة، وأن الإنسان هو الذي يصنعها وفقا لرغباته؛ فالإنسان هو من يقرر، وهو من يصنع الأحداث، وهو من يضع القوانين، وهو من يكسرها أيضا، كما أوضح السوفسطائيون من قبل.

٣) السوفسطائية المعاصرة في الصين (ق٢٠):

ترجع جذور السوفسطائية الصينية المعاصرة في القرن العشرين إلي سوفسطائية القرنين: (٥،٤ ق.م)، أو ما كان يُطلق في حينه علي جمعية كبار المفكرين الذين اشتهروا بالفصاحة، والبلاغة، وغزارة العلم، وسعة الإطلاع، والميل إلي الانتصار بقوة الحجة، فضلا عن اهتمامهم باللغة، والميتافيزيقا، والمنطق، وإثبات المفارقات الجدلية، فأطلق عليهم معاصروهم اسم: الجدليين (أو السوفسطائيين)، أو ما يُعرف بـ(**مينج- كيا**) (أي **مدرسة الأسماء**)، أو ما يعبر بصورة أو بأخري عن الكلمات، وعلاقتها بالأشياء والأحداث والمواقف في العالم. وجدير بالذكر، إن تسميه هذه الجماعة (بالمدرسة) هي تسمية مجازية فقط؛ لكونها حركة فكرية لم تعبر عن عقيدة واحدة ثابتة، أو أسلوب محدد في عرض أفكار رجالها، وقد كان أشهرهم: (دينغ شي، وين وين، هوي شي، غونغسون لونغ، هوانغ غونغ، ماو غونغ، تشينغ غونغ شنغ، وهوان توان) ضمن آخرين ممن جمعتهم، وقتئذ، المصالح السياسية، والاهتمام بالمذاهب الأخلاقية، والجدل، والقضايا الفلسفية المتسوحاة من التفكير في اللغة، وعلم البلاغة(٧٤).

وقد كانت تسمية هذه الجماعة (بالسوفسطائيين) تسمية دقيقة؛ لما تميزت به هذه الجمعية من شبه كبير مع السوفسطائية الإغريقية؛ فلقد كانت حركة لا تربط أفرادها إلا رابطة واحدة، وهي إنكار الحقيقة المطلقة، والشك في الكليات العامة، والإيمان بأنه لا توجد إلا حقائق

(ت / ١٨٧٣م) وهذا الأخير قد قدم له (وليم جيمس) إهداءً في مقدمة كتابة البراجماتية قال فيه: "إلي ذكري جون ستيوارت مل الذي كان أول من علمني سعة الأفق البراجماتية ، والذي يطيب لخيالي أن يتصوره كقائد لنا لو كان حيا" . بالإضافة إلي أن المفكر والفيلسوف الفرنسي فولتير (ت / ١٧٧٨ م) يعد أيضاً – في نظر الباحثة – أصل من أصول البراجماتية (ولقد كان متأثراً بجون لوك)، وذلك لقوله: "إن الكذب ليس ذنباً إلا حين يضر شخصا ما، أما حين يفيد الإنسانية، فإنه أكبر الفضائل قيماً " مما يعبر أيضاً عن فكرة نسبية القيم الأخلاقية علي حسب نتائجها .

- راجع: رسل.برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث، ص،ص/٣٦٧،٣٥٧،١٦٢،٨٣.

- جيمس.وليام: البراجماتية، (صفحة إهداء المؤلف) .

- كريسون.أندريه: فولتير (حياته– آثاره– فلسفته)، ترجمة: صباح محيي الدين، منشورات عويدات، باريس، ط٢، ١٩٨٤، ص٤٦.

[٧٣] جيمس.وليام ، البراجماتية ، ص ص ٣٥٢/٣٥٣.

[74] Huang.B.A: A Comparison of Greek and Chinese Rhetoric and There Influence on Later Rhetoric, PhD thesis (published), Texas University, 2002, P.198.

- Fraser.Chris: School of Names, Published in: Stanford Encyclopedia of Philosophy (online), 2020, (seen at: 22/9/2022 – 2am).

- أيضاً: محمد غلاب: الفلسفة الشرقية، مطبعة البيت الأخضر، القاهرة، ١٩٣٨، ص ص٢٨٨/٢٨٩.

نسبية متغيرة، وأن الإنسان- هو وحده- مقياس هذه الحقائق علي نحو ما أعلن سوفسطائيو الإغريق تماما. فضلا عما وُجد بينهما من تشابه في طريقتهم الحوارية التي كانوا يتلاعبون فيها بالألفاظ؛ فيبرهنون، عقليا ولفظيا، علي حسن الشئ وسوئه في آن واحد. وقد حظي كلاهما بقليل من الاحترام؛ نظرا لاعتمادهما بصورة رئيسة علي أسلوب الخطابة، والمراوغة، والتهكم في عرض الأفكار، والجدال في الدعاوي القضائية، وطرح المفارقات دون أخذ الحقائق في الاعتبار(٧٥).

هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية؛ فسوفسطائيو الصين لم ينزلوا إلي الدرك الذي نزل إليه سوفسطائيو الإغريق؛ ولم يقرروا مثلهم أن الخير هو ما يجلب المنفعة، وأن الشر هو ما يجلب الضرر؛ بل قرروا أن الفضيلة أمر سام، ليس له علاقة بمظاهر المجتمع، ولقد رأي كثير من الباحثين أن في هذه ناحية سمو امتازت بها السوفسطائية الصينية قبل الميلاد(٧٦).

وقد كان المفكر الصيني (**هوي شي** Hui Shi)(٧٧) من أشهر سوفسطائي الصين في ذلك الوقت؛ فقد كان قادرا علي تقرير رفع المتناقضين، أو إثبات رفعة الباطل علي الحق، بأدلة لا يستطيع معاصروه هدمها. ومن أشهر أقواله: "**إنني أذهب اليوم إلي مدينة (يوي)، وأصل إليها أمس**"، وقوله: "**إن موت الكائنات الحية يتحقق عند لحظة ميلادها**"، إلا أن البراهين التي استدل بها علي هذه الآراء، للأسف قد فقدت فقدا تاما. ومن الدعاوي التي أثبتها أيضا قوله إن الزمان والمكان ليسا إلا أمرين خياليين، وأن الكائن الحي قد تمر به لحظات لا يكون فيها ساكنا أو متحركا؛ مثله كمثل السهم أثناء الانقذاف من القوس إلي الرمية، ومنها أيضا أن العصا التي طولها قدم واحد، وأخذنا منها كل يوم نصف ما تبقي منها، لا تنتهي بعد عشر آلاف سنة! (وهي حجج قريبة للغاية من الحجج التي أوردتها المدرسة الإيلية بعد ذلك)(٧٨).

وقد عُرف عن (هوي شي) اهتمامه الشديد باللغة وعلاقتها بالمعني، بالصورة التي تمكننا من التواصل مع الأشياء عن طريق الإشارة باستخدام الكلمات، وأنواع الأشياء التي تدل عليها هذه الكلمات بشكل تقليدي، وذلك من خلال معرفة كيفية التمييز بين أنواع الأشياء المتشابهة والمختلفة باستخدام الاستشهاد بنظير مألوف، ثم توضيح الاختلافات بين الكائن المجهول والشئ المألوف(٧٩).

ويمكن القول إن المعلومات التفصيلية الوحيدة عن مذهب (هوي شي) قد وصلت إلينا من مقال نُسب إليه بعنوان (**تحت السماء**)، وقد تضمن عشر أطروحات فلسفية تدور حول موضوع محدد مفاداه أن الفروق بين الأشياء ليست ثابتة بطبيعتها؛ ولكنها مرتبطة بالمنظور الذي ننظر من خلاله إلي الأشياء، وبالتالي يمكن إعادة تحديدها، أو هدمها تماما، وذلك بتغيير وجهات النظر كما يتراءي للإنسان؛ فالأمر نسبي، يتوقف علي المقارنات بين الأشياء الخارجية، وعلاقتها

---

[٧٥] **محمد غلاب، مرجع سابق، ص٢٨٩.**

- Fraser.Chris, School of Names, Stanford Encyclopedia of Philosophy (online).

[٧٦] **محمد غلاب، مرجع سابق، ص٢٨٩.**

[٧٧] **لا يعرف التاريخ عن هذا الفيلسوف سوي أنه قد عاش في الفترة ما بين (٣٨٠،٣٠٠ ق.م)، وقد تميز بالغموض، والفصاحة، والذكاء، والقدرة علي طرح سلسلة من الأطروحات الجدلية، والمقارنات المنطقية، إلا أن كثيرا من إثبات حججه لم يصل إلينا.**
- انظر: محمد غلاب، مرجع سابق، ص٢٩٠.

- Fraser.Chris, Scool of Names, Stanford Encyclopedia of Philosophy (online).

[٧٨] **محمد غلاب، مرجع سابق، ص ص٢٩٠/٢٩١ .**

[79] **Fraser.Chris, School of Names, Stanford Encyclopedia of Philosophy (online).**

بالزمان والمكان، ومن ثم، فإن هناك الكثير من المفارقات القادرة علي إبطال الفروق المنطقية بين الأشياء([80]).

ويتم تقديم الأطروحات العشر في مقال (تحت السماء) علي النحو التالي([81]):

١- العظيم (اللانهائي) في نهاية المطاف ليس له خارج؛ لهذا أُطلق عليه العظيم، الصغير في نهاية المطاف ليس له داخل، لهذا اطلق عليه الصغير (أي أن اللانهائي لا يمكن أن يحتويه شئ، لأن لا يوجد كيان (أو مكان) أكبر منه يمكن أن يحويه بالفعل، أما الصغير، أو اللامتناهي في الصغر، فلا يمكن أن يتضمن في داخله ما هو أصغر منه بالضرورة).

٢- لا يمكن تجميع أبعادها، حجمها ألف ميل (غير موضح ما المقصود بالعبارة).

٣- السماء منخفضة مثل الأرض، والجبال مستوية مثل المستنقعات (العبارة تدل علي نسبية المنظور الذي ننظر به إلي الأشياء).

٤- مثلما تكون الشمس عند الظهيرة، فإنها آخذه إلي الانحسار (الغروب)، وكذلك الأشياء، تموت وهي علي قيد الحياة (أي أن الشئ يحمل في داخله أسباب نهايته، وأن الموت متضمن داخل الحياة، وهي الفكرة نفسها التي وردت علي هيراقليطس بعد ذلك) .

٥- إن الشئ هو نفسه علي نطاق واسع، ولكنه يختلف عما يبدو عليه علي نطاق صغير؛ فالأشياء التي لا تعد ولا تحصي متشابهة أو مختلفة، وهذا ما يسمي الشئ نفسه، ومختلف علي نطاق واسع (أي أن الأشياء المختلفة ظاهرياً من وجهات نظر معينة، متشابهة فيما بينها من وجهات نظر أخري؛ فالأمر علي حسب المنظور الذي ننظر به إلي الأشياء).

٦- الجنوب ليس له حدود حتي الآن !

٧- إنني أذهب اليوم إلي مدينة (يوي)، وأصل إليها أمس .

٨- يمكن فصل الحلقات المترابطة .

٩- أعرف مركز العالم: يقع شمال (يان) أقصي الشمال، وجوب (يوي) أقصي الجنوب (العبارة تدل علي نسبية الحكم بناء علي نسبية المكان والزمان).

١٠- هناك تجانس عالمي بين الأشياء التي لا تعد ولا تحصي، السماء والأرض وحدة واحدة.

من غير الواضح ما إذا كان ترتيب التسلسل مقصوداً أم لا، لكن يبدو أن هذا غير مرجح؛ نظراً لأن المفارقات الزمنية ليست مرتبة معا، ومن الصعب رؤية كيف تتناسب الأطروحة (الثامنة) مع باقي الأطروحات في صورة متسلسلة متعمدة؛ لكونها الأكثر غموضا. ويمكن القول إن الأطروحة (الأخيرة) هي الوحيدة ذات الأهمية الأخلاقية، وهي تتوافق بصورة منطقية مع الأطروحة (الأولي)؛ فاللانهائي العظيم يتوافق- في وحدة واحدة- مع المتناهي في الصغر، وهذا ما تعبر عنه الأطروحة (الخامسة)؛ فالأشياء هي نفسها، ولكنها تختلف باختلاف المنظور فقط.

---

[80] **Ibid.**

[81] **Fraser.Chris, School of Names, Stanford Encyclopedia of Philosophy (online).**

و علي أية حال، الأطروحات غامضة بصورة كبيرة، خاصة دون معرفة الحجج الأصلية (لهوي شي)، ومن ثم، لا يمكن إلا أن نقدم تفسيرا تكهنيا جزئيا للأطروحات(٨٢).

وجدير بالذكر، إن الفكر السوفسطائي البلاغي الذي قدمه (**هوي شي**) وغيره من مفكري (مدرسة الأسماء)، قد استطاع التأثير في الفكر الصيني الحديث والمعاصر، بداية من عصر النهضة، وصولا للقرن العشرين. وقد تجلي ذلك التأثير في الثقافة الصينية، التي أصبحت تنظر إلي السوفسطائي المعاصر بأنه الشخص الاجتماعي، المثقف، القادر علي تأمين مستقبله بفكره (المرن- النسبي)، مما سيضمن له البقاء والاستقرار والاستمرارية، بفضل التغير والتحديث المستمر، بعيدا عن الثبات والجمود(٨٣).

فلقد أثر التطور الاجتماعي السياسي الصيني علي حركة الأدب بصورة عامة، وحركة الفكر الفلسفي بصورة خاصة، فأصبح الهدف الواقعي للمشروع الخطابي البلاغي هو (السعي إلي الوصول إلي مكان ضمن الإمكانات المتاحة)، فأصبحت البلاغة (أو الأطروحات الجدلية) هي الفن الذي يسعي لتحصيل كل ما هو ممكن ومناسب (علي نحو برجماتي) ضمن البدائل المتاحة في الواقع. ومن ثم، أصبحت السوفسطائية المعاصرة المتطورة في الصين هي (وسيلة التمكن من الاحتمالات)، وذلك عن طريق البحث المنطقي، والجدل اللغوي، والأسلوب الجمالي، وذلك بوعي عقلاني جديد قادر علي التقدم والانفتاح، وملائمة (المثقف الصيني الجديد) للمتغيرات الاجتماعية والسياسية كافة، وهي المسئولية التي تقع علي عائق السوفسطائيين الجدد، الذين يجذبون الناس باللغة العامية البسيطة، والأسلوب الخطابي الجديد الذي يجمع بين الرؤي الكلاسيكية القديمة من ناحية، والتجريبية البرجماتية المعاصرة من ناحية أخري(٨٤).

فالسوفسطائية، بهذه الصورة، تنشأ من حاجة المجتمع لمهارات معينة، ويتم تشكيلها استجابة لمتطلبات، ومواقف، وظروف راهنة في وقت محدد يتطلب هذه القدرات البلاغية التي ينادي بها المجتمع لتلبية احتياجاته.

ويمكن القول: إن السمة المشتركة بين سوفسطائية الماضي والحاضر، تتمثل في أسلوب التعليم نفسه، المتمثل في أساليب الإقناع العقلي، والدفاع المبني علي الجدل اللغوي، والحوار الشفهي الجذاب، وكل هذه الأساليب تكون مسخرة لتلبية حاجة معينة، سواء كانت: المعرفة الاجتماعية، أو الخطابة السياسية، أو الممارسة الثقافية، وهي العوامل نفسها التي أدت لظهور سوفسطائية اليونان من قبل(٨٥).

- **نتائج الدراسة :**

من خلال الدراسة التحليلية النقدية المقارنة لأثر السوفسطائية في الفكر الفلسفي المعاصر من خلال نماذج ممثلة، يمكنني أن أرصد أهم النتائج التي توصلت إليها في النقاط التالية:

أولاً/ إن السوفسطائية تمثل نقطة تحول مهمة وخطيرة في تاريخ الفلسفة؛ نظراً لإهتمامها بدارسة الإنسان، وابتكار ألوان متنوعة من الأدب وأساليب التعليم، ولفت الانتباه إلي أهمية اللغة ودورها في حركة الفكر، فضلاً عما كانت عليه من أسلوب للحياة، ووسلية للرزق. فلقد كانت

---

[82] **Ibid.**

[83] **Butterfield.Rya: China's 20th Century Sophist: Analysis of Hu Shi's Ethics, Logic, and Pragmatism, PhD thesis (published), Louisiana State University, 2012, P.93.**

[84] **Butterfield.Rya. Op.Cit,P.94.**

[85] **Butterfield.Rya. Op.Cit,P.95.**

السوفسطائية الإغريقية بداية للفكر الفلسفي المعقد، الذي وضع البذور الرئيسة لإشكاليات فلسفية ستحتل مكانة مهمة في الفكر الفلسفي المعاصر بعد ذلك. فالفلسفة وسيلة للمعرفة، ووسيلة للتقدم، ووسيلة للحصول علي بعض الإجابات التي تُريح الإنسان قليلا من قلقه الدائم، أو علي الأقل هي محاولة للوصول إلي أقصي فهم ممكن لما يعانيه الإنسان من مشكلات حياتيه، ولقد استطاعت السوفسطائية، بما قدمته من إسهامات فكرية، أن تساهم في بناء الحضارة الإنسانية، وأن تثري الفكر الفلسفي بإشكاليات سياسية، ولغوية قيمة.

ثانياً/ إن الفلسفة العملية التي قدمها كل من: نيتشه والفلاسفة البراجماتيين، ومثقفي الصين في القرن العشرين، والتي تعد امتدادا للفكر السوفسطائي، هي فلسفات وسيلية هدفها حل المشكلات الحياتية التي يواجهها الإنسان عن طريق تغيير النظرة المعيارية للقيم الأخلاقية، والاعتقادات الدينية، بحيث تصبح الفائدة العملية هي مقياس الحكم الأخلاقي، ومقياس التشبث الوقتي بالآراء، فهي حلول وقتية تجعل قيمة الشئ قيمة نسبية تختلف مع مرور الزمن تبعا لاختلاف المصالح والمواقف الحياتية.

فالإنسان هو مقياس الأشياء جميعاً كما قال السوفسطائيون من قبل، يأخذ من الفكر وسيلة لتحقيق أغراضه ومصالحة الشخصية، دون أن يكون لديه موقف يقيني محدد، فتتغير أفعاله تبعاً لتغير اعتقاداته، وتتغير أحكامه تبعا لنتائج أفعاله، وتسير حياته تبعا للمبدأ الذي تبناه نيتشه (دعه يمر)، فما لليوم لليوم، وما للغد للغد. فبدلاً من أن يُقيم الإنسان حياته علي أساس ما يعتنقه من قيم، يحدث العكس، فيقيم القيم بناءً علي حياته، فيغير من أفكاره واعتقاداته باستمرار ليتلائم مع بيئته، ويضمن الحصول علي أكبر قدر ممكن من الفائدة. فالإنسان هنا (حيوان تجريبي مثقف) يحيا علي قناعات نسبية قوامها النظرة الذاتية، والمصلحة الشخصية.

ثالثاً/ إنه علي الرغم من الجهد الذي بذله كل من نيتشه وفلاسفة البراجماتية للقضاء علي النظرة المعيارية للأخلاق والمعرفة، فإنهم لم يستطيعوا الهروب تماما من المعيارية علي الرغم الطابع النسبي الذي يغلف فلسفتهم: فنيتشه قد وضع معيارا للأحكام الأخلاقية دون قصد، وهو مدي التمرد علي القوانين الاجتماعية والدينية والسياسية، أو ما يسميها (بالأصنام)؛ فشجاعة المرء في نظره في التمرد ورفض الأوهام الإنسانية، فالإنسان الذي يرفض الكذب من داخله حفاظا علي الشرف هو شخص ممتاز، والذي يرفض الكذب خوفا من الإله هو شخص جبان، إذن المعيار الخفي في فلسفة نيتشه النسبية هو مدي التمرد علي القوانين.

وبالنسبة للبراجماتية، فإن المعيار هو مدي نجاح الفكرة العملي في الواقع، وما تحدده من نتائج، وهو المعيار نفسه في الفكر الصيني المعاصر، والذي أصبح به (سوفسطائي الأمس) هو (مثقف اليوم)، وما يمتاز به من مرونة الفكر، وسرعة البديهة، ومهارة الحجة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا/ المصادر المترجمة :

١. أفلاطون: محاورة بروتاجوراس (في السفوسطائيين والتربية) ، ترجمة/ عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١.

٢. جيمس.وليام: البراجماتية، ترجمة/ محمد علي العريان، تقديم/ زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨.

٣. ديكارت: التأملات في الفلسفة الأولي، ترجمة/ عثمان أمين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩.

٤. رسل.برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، الكتاب الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١.

٥. نيتشه.ف: أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة/ حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).

٦. ـــــــ : ما وراء الخير والشر، ترجمة/ موسي وهبة، مكتبة الفارابي، (د.م)، (د.ت).

٧. ـــــــ : أفول الأصنام، ترجمة/ حسن بورقيه، محمد الناجي، دار أفريقيا الشرق،(د.م)، ١٩٩٦.

ثانياً/ المراجع :

١) العربية :

١. أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨.

٢. جعفر آل يس: فلاسفة يونانيون (العصر الأول)، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧١.

٣. حربي عباس عطيتو: ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٧.

٤. زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، القاهرة، ١٩٥٦.

٥. ـــــــــ : من زاوية فلسفية، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٩.

٦. عبد الفتاح أحمد فؤاد: فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٦.

٧. عثمان أمين: محاولات فلسفية، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٧.

٨. عزت قرني: الفلسفة اليونانية حتي أفلاطون، مجلس النشر العلمي، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، ٢٠٠٣.

٩. فؤاد زكريا: نيتشه، دار المعرفة، القاهرة، ط٣، (د.ت).

١٠. ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلي أفلوطين وبرقلس، دار العلم للملايين، لبنان، ١٩٩١.

١١. محمد الخطيب : الفكر الأغريقي ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، ١٩٩٩.

١٢. محمد عبد الرحمن مرحبا: تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها وحتي المرحلة الهلنسية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣.

١٣. محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي،ج١(الفلسفة اليونانية من طاليس إلي أفلاطون)، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ط٥، ١٩٧٣.

١٤. ـــــــــــــ : تاريخ الفكر الفلسفي، ج٢ (أرسطو والمدارس المتأخرة)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٣، ١٩٧٢.

١٥. محمد غلاب: الفلسفة الشرقية، مطبعة البيت الأخضر، القاهرة، ١٩٣٨.

١٦. محمد مهران، محمد مدين: مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٧. مصطفي النشار: مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨.

١٨. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٥، ١٩٦٦.

ب) الأجنبية:

1. Blackie.(J.S): Reek Philosophy And Ant equity, Macmillan Co., London, 1874.
2. Brinton.(C): Nietzsche, Harvard University Press, U.S.A, 1948.
3. De Romilly.(J): The Great Sophists In Periclean Athens , Translated by: Lioyed.(Janet), Clarendon Press, Oxford, 2002.
4. Driscill.(J.T): Pragmatism And The Problem Of The Idea, Longmans And Green Co., London, 1915.
5. Erdmann.(J.E): History Of Philosophy, Swan Sonnenschein.com., NewYork, 1890.
6. James.William: Essays In Pragmatism, Hafner Publishing Co., NewYork, 1948.
7. Lewes.(G.H), The History of Philosophy, V.1, Longman, Green, And Co., London, 1871.
8. Pratt.(J.B): What is Pragmatism?, The Macmillan Com., NewYork, 1909.
9. Sabin.(E.E): William James And Pragmatism, The New Era Printing Com., U.S.A, 1916.
10. Sachs.Joe: Socrates And Sophists, R.Pullins Company, U.S.A, 2011.

11. Scruton.Roger: A Short History Of Modern Philosophy, Routledge, London And New York, 1981.
12. Sedgwick.Henry: Lectures On The Philosophy Of Kant And Other Philosophical Lectures And Essays, Kraus Reprinted Co., NewYork, 1968.
13. Thomas (E): A Study In Greek Rhetoric, Catholic University Of America, Washington D.C, U.S.A, 1921.
14. Ueberweg.(F): History of Philosophy From Thales To The Present Time, V.1, Translated by: Morris .(S.A.M), Charles Scrirner's Sons, NewYork, 1909.
15. Ueberweg.(F): History of Philosophy From Thales To The Present Time, V.1, Charles Scribner's Sons,NewYork,1909.
16. Waterfield.(B)(e.d): Oxford Word's Classics (The Pre Socratics And Sophists), Oxfotd University Press, Oxford, (without date).

جـ) المترجمة:

١. برهييه.إميل: تاريخ الفلسفة (الفلسفة اليونانية)، ترجمة/ جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢.

٢. رالف. ب.وين: المذهب الطبيعي في الفلسفة، نشر في: فلسفة القرن العشرين (مجموعة مقالات في المذاهب الفلسفية المعاصرة)، نشرها: داجوبرت. د. رونر، ترجمة/ عثمان نوية، راجعه/ زكي نجيب محمود، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٣.

٣. ستيس.وولتر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة/ مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤.

٤. كريسون.أندريه: فولتير (حياته– آثاره– فلسفته)، ترجمة: صباح محيي الدين، منشورات عويدات، باريس، ط٢، ١٩٨٤.

ثالثاً/ الموسوعات :

أ) العربية :

١. عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٨٤.

ب) المترجمة :

١. لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ٢٠٠١.

جـ) الأجنبية:

1. Cohen,(M): 101 Philosophy Problems, Routledge, London And NewYork, 2007.
2. Fraser.Chris: School of Names, Published in: Stanford Encyclopedia of Philosophy (online), 2020.

3. Preus.Anthony(ed): Historical Dictionary of Ancient Greek Philosophy, The Scarecrow Press. Inc, U.S.A, 2007.
4. Small.Robin: Nietzsche, Published in Routledge History of Philosophy 19th century, edited by: Ten (C.L), Routledge, London And NewYork, 1994.
5. Taylor.C.C.W(ed) ,Routledge History of Philosophy (from The Beginning To Plato), V.1, Routledge, London and NewYork, 1997.

رابعاً/ المعاجم :

١. المعجم الوجيز: تصدير: إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٢١هـ.
٢. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.
٣. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة ، ٢٠٠٧.

خامساً/ الرسائل العلمية الأجنبية :

1. Butterfield.Rya: China's 20th Century Sophist: Analysis of Hu Shi's Ethics, Logic, and Pragmatism, PhD thesis (published), Louisiana State University, 2012.
2. Huang.B.A: A Comparison of Greek and Chinese Rhetoric and There Influence on Later Rhetoric, PhD thesis (published), Texas University, 2002.